الجزء الأول

مقالات

محمد عبيد

الطبعة الثانية

دار صفقات كتابية للنشر والتوزيع

كتاب : مقالات محمد عبيد.
الطبعة : الثانية .

الناشر : دار صفقات كتابية للنشر والتوزيع .
إصدار : ٢٠٢٣ .

للتواصل مع الدار يمكنك التواصل على واتساب: ٠١٠١٦٣٢٧٩٤٧

كما يمكنك قراءة آخر الأخبار على موقعنا

https://safaqat-kitabia.blogspot.com

. جميع الحقوق محفوظة الناشر ©

وأي اقتباس، أو تقليد أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية، يُعرِّض صاحبه للمساءلة القانونية، أما حقوق الملكية الفكرية والآراء، والمادة الواردة في الكتاب فهي خاصة بالكاتب فقط لا غير.

هذا الكتاب عبارة عن مجموعة من ضمن المقالات المنشورة للكاتب في بعض المجلّات.

نِعم الله على العباد

تمهيد:

لله عز وجل على عباده نعم لا تعد ولا تحصى، وهذا مصداقًا لما يعيشه الإنسان في كامل الإنعام الإلهي، الذي منَّ الله به عليه وجعله عين معيته وتفضله، ولهذا فإن هذه النعم الكثيرة تحتاج منا إلى شكر، وصيانة لها، واستذكار لجليل قدر المنعم عز وجل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -:(والعبد دائمًا بين نعمة من الله تحتاج إلى شكر، وذنب يحتاج فيه إلى استغفار، وكل من هذين من الأمور اللازمة للعبد دائمًا، فإنه لا يزال يتقلب في نعم الله وآلائه، إلى آخر ما قال). [1]

فنعم الله دعوةٌ منه سُبحانه وتعالى للعبدِ بأن يتفكّر في نِعم الله تعالى عليه، ويتذكرها ولا ينساها، ويؤدي حقّ شكر الله تعالى على هذه النِّعَم، قولاً وفعلاً وحالاً واستشعارًا.

فلا شك أن هذا المبحث يعد مبحثًا مهما في طريق الدعوة إلى الله عز وجل، وذلك لسببين، هما:

- الاستجابة للبيان القرآني والنبوي في الحث على معرفة نِعم الله على الإنسان، فقد قال الله تعالى يحثنا على التفطن إلى نعمه وإنعامه "وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ" (٢)

وقال النبي صلى الله عليه وسلم "إذا أنعَم اللهُ على عبدٍ أحبَّ أن يرى أثرَ نعمتِه عليه" ، وقال أيضًا -صلى الله عليه وسلم-: "انظروا إلى مَنْ هو أسفلَ منكم، ولا تنظروا إلى مَنْ هو فوقَكم، فهو أجدرُ ألَّا تَزْدَرُوا نعمةَ اللهِ".

- تذكير الناس بنعم الله عليهم؛ فيه ما يقودهم لصلاحهم وتقواهم وزيادة إيمانهم. كما جاء عن رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين حكى لنا أنه قال: "سَأَلْتُ رَبِّي مَسْأَلَةً وَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَسْأَلْهُ، قُلْتُ: يَا رَبِّ كَانَتْ قَبْلِي رُسُلٌ، مِنْهُمْ مَنْ سَخَّرْتَ لَهُمُ الرِّيَاحَ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يُحْيِي الْمَوْتَى، قَالَ: أَلَمْ أَجِدْكَ يَتِيمًا فآوَيْتُكَ؟ أَلَمْ أَجِدْكَ ضَالًّا فَهَدَيْتُكَ؟ أَلَمْ أَجِدْكَ عَائِلًا فَأَغْنَيْتُكَ؟ أَلَمْ أَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ، وَوَضَعْتُ عَنْكَ وِزْرَكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلَى يَا رَبِّ" (٣)

وقال أيضًا صلى الله عليه وسلم: "أحبّوا الله من كلِّ قلوبكم لما يغذُوكم به من النِّعَم"(١)

وقد تعرضتُ في هذا المبحث إلى أربعة مطالب أساسية، هم كالآتي:

- نعمة الخلق والتسخير.
- نعمة إرسال الرسل وإنزال الكتب.
- نعمة العقل.
- نعمة الصحة.

مع وجود تمهيد يسير؛ شُرح فيه خطة المبحث وعناصر مضمونه، وخاتمة للمبحث، وعرض للدلالات المستفادة من المبحث بالنسبة للداعية والمدعو والدعوة، ثم فهرس بمصادر ومراجع المبحث.

المطلب الأول: نعمة الخَلق والتسخير

لا شك أن الوجود خير من العدم، وأن خلقنا خير من عدمنا، لذلك تعد مسألة "الخلق" من المسائل التي أنعم الله عز وجل بها على الإنسان؛ فقد خلقه وهيأ كل ما في الكون والحياة لاجله ، ولإتمام سعادته .

يقول المهايمي: (إن ربط العالم بعضه ببعض دليل توحيده، وجعل البعض سبب البعض، دليل حكمته، وجعل الكل مسخرًا للإنسان، دليل كمال جوده، فمن أنكر هذه الآيات ولم يشكر هذه النعم، استوجب أعظم وجوه الانتقام)[١]

فالله تعالى كما أنه أنعم على الإنسان بنعمة الإيجاد من العدم، أنعم عليه أيضًا بنعمة تسخير الكون كله بما فيه لخدمته وتيسير أموره ومعاشه، ومن مظاهر هذا التكريم[٢]: (تسخير المراكب في البر، وتسخير المراكب في البحر، والرزق من الطيبات، والتفضيل على كثير من المخلوقات.

ومنه أيضا: جعله كريمًا، أي: نفيسًا غير مبذول ولا ذليل في صورته ولا في حركة مشيه وفي بشرته.

ومنه: ما جعل الله فيه من المعارف والصنائع، وقبول التطور في أساليب حياته وحضارته، وهذا من كرمه عليهم وإحسانه الذي لا يقادر قدره، حيث كرم بني آدم بجميع وجوه الإكرام، فكرمهم بالعلم والعقل، وإرسال الرسل وإنزال الكتب، وجعل منهم الأولياء والأصفياء، وأنعم عليهم بالنعم الظاهرة والباطنة.

وإنعام الله على الإنسان بأن جعل له ما يساعده على مشاق الحياة كالإبل والبغال والحمير والمراكب البرية، في السفن والمراكب، من المآكل والمشارب والملابس والمناكح، فما من طيب تتعلق به حوائجهم إلا وقد أكرمهم الله به ويسره لهم غاية التيسير.

ومن التكريم: أن يكون الإنسان قيمًا على نفسه، محتملًا تبعة اتجاهه وعمله، فهذه هي الصفة الأولى التي بها كان الإنسان إنسانًا، حرية الاتجاه وفردية التبعة، وبها استخلف في دار العمل، فمن العدل أن يلقى جزاء اتجاهه وثمرة عمله في دار الحساب)

وكثيرا ما نبهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعاد تنبيهنا إلى تسخير الأنعام وتذليلها للناس (لأن في الإعادة تذكيرًا بالنعمة يبعث على شكرها والثناء على الله من أجلها، والقيام له بما يجب لعظمته وكبريائه، لأنه تعالى سخر لهم تلك البهائم، وأخضعها لتصريفهم، وأراهم ما يصنعون فيها، وكيف يتقربون بها) [١]

ولأن نعمة الخلق هي بداية نعم الله عز وجل على الإنسان؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد دلنا إلى الطريق الصحيح لتدبرها والاتعاظ بها، وذلك حين قال: **"تَفَكَّرُوا فِي آلَاءِ اللَّهِ ، وَلَا تَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ"**

لأن التفكر في ذاته سبحانه تُفضي إلى تصور قاصر عن الحقيقة؛ لأن العقل مهما بلغت درجاته المعرفية فإن قياسه على الغائب يكون ناقصا

غير منضبط، لذا فإن تفكر نعمة الله من خلال خلق الكون والإنسان يجعلنا ندرك هذه العظمة الإلهية من كل ما يحيط بنا .

(فالإسلام يعقد صداقةً قويةً بين الكون والإنسان، صداقة الأخوَّة في الصدور عن الله عز وجل وقد كشف العلم الحديث عن وَحدة البناء في الكون والحياة والإنسان - وصداقة العبادة المشتركة والتسبيح المشترك لله سبحانه، وصداقة الإحساس بتسخير الكون لمنفعة الإنسان. ويوقع نغمة الحب للكائنات الحية التي تشارك الإنسان سكنى الأرض)[٢]

المطلب الثاني: نعمة إرسال الرسل وإنزال الكتب

الخلق بحاجة إلى الرسل عليهم الصلاة والسلام؛ ليبلّغوهم ما يُحبّه الله ويرضاه، وما يغضب منه ويأباه، وكثير من العصاة والمنحرفين ضلّوا في متاهات الشقاوة، هذا مع وجود الأنبياء عليهم السلام، فكيف يكون الحال لو لم يُرسل الله تعالى رسلاً مبشرين ومنذرين!

(لقد كان مجيء الرسل عليهم السلام إنقاذًا للبشرية، وأخذًا بأيدي الناس إلى الطريق المستقيم، فإرسالهم نعمة من الله تعالى على الناس؛ لأن الحاجة إليهم ضرورية، فلا ينتظم حال الناس ولا يستقيم لهم دين إلا بإرسال الرسل، ذلك أن الحق سبحانه قد جعل الرسل وسائط بينه

وبين خلقه، يعرفونهم بربهم، ويفصلون لهم الشرائع، ويبينون لهم ما يحبه الله سبحانه وما يبغضه، ويوضحون لهم ما يضرهم وما ينفعهم، ولا سبيل لمعرفة ذلك إلا من جهة الرسل؛ بل إن حاجة البشر إلى الرسل أعظم من حاجة المريض إلى الطبيب؛ ذلك أن غاية ما يحدث من عدم وجود الطبيب هو وهن البدن، أما ما يحدث من عدم وجود الرسل فهو موت القلوب وخراب النفوس وفساد الأخلاق).[١]

فالرسل بُعثوا يُهذّبون العباد، ويُخرجونهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ويُحرّرونهم من رقّ عبودية المخلوق، إلى حرية عبادة رب الأرباب الذي أوجدهم من العدم، وسيفنيهم بعد الوجود، ويبعثهم بعد الفناء، ليكونوا إما أشقياء، وإما سعداء.

ولهذا يقول الحافظ ابن رجب الحنبلي : (وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل عن صيام يوم الاثنين: "ذاك يوم ولدت فيه وأنزلت علي فيه النبوة" إشارة إلى استحباب صيام الأيام التي تتجدد فيها نعم الله على عباده؛ فإن أعظم نعم الله على هذه الأمة إظهار محمد صلى الله عليه وسلم لهم وبعثته وإرساله إليهم، كما قال تعالى: {لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم}؛ فإن النعمة على الأمة

بإرساله أعظم من النعمة عليهم بإيجاد السماء والأرض والشمس والقمر والرياح والليل والنهار وإنزال المطر وإخراج النبات وغير ذلك؛ فإن هذه النعم كلها قد عمت خلقا من بني آدم كفروا بالله وبرسله وبلقائه فبدلوا نعمة الله كفرا، فأما النعمة بإرسال محمد صلى الله عليه وسلم فإن بها تمت مصالح الدنيا والآخرة، وكمل بسببها دين الله الذي رضيه لعباده وكان قبوله سبب سعادتهم في دنياهم وآخرتهم، فصيام يوم تجددت فيه هذه النعم من الله على عباده المؤمنين: حسن جميل، وهو من باب مقابلة النعم في أوقات تجددها بالشكر. ونظير هذا صيام يوم عاشوراء، حيث أنجى الله فيه نوحا من الغرق، ونجى فيه موسى وقومه من فرعون وجنوده وأغرقهم في اليم، فصامه نوح وموسى شكرا لله فصامه رسول الله صلى الله عليه وسلم متابعة لأنبياء الله، وقال لليهود: "نحن أحق بموسى منكم"، وصامه وأمر بصيامه)[1]

ولو تُرك الناس هملاً دون إنذار وتخويف، لعاشوا عيشة ضنكاً، في جاهلية جهلاء، وضلالة عمياء، وعادات منحرفة، وأخلاق فاسدة، وأصبحت الحياة مجتمعُ غاب، القويّ فيهم يأكل الضعيف، والشريف فيهم يذلّ الوضيع، وهكذا.. فاقتضت حكمته جلّ وعلا ألا يخلق عباده سُدى، ولا يتركهم هملاً.

ومن رحمته جلّ وعلا بهم، أن منّ عليهم إذ بعث فيهم رسلاً مبشرين ومنذرين يتلون عليهم آيات ربهم، ويُعلّمونهم ما يصلحهم، ويُرشدونهم إلى مصدر سعادتهم في الدنيا والآخرة، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين.

إن إرسال الرسل وإنزال الكتب لهداية الناس من حبه، تعالى، لخلقه وعباده (فإنّ وظيفة الرسل أن يأخذوا بيد النَّاس إلى شاطئ الأمان ويستنقذوهم من براثن الجهالة والضلالة والوثنية، ولهذه الغاية فقد حرَّكوا العقول التي أصابها الصدأ، وهزّوا مكامن الفطرة التي أصابها التلوّث. فالأنبياء – عليهم السلام- هم رُسُل العدل والحُبّ والسلام، وليسوا رسل الكراهيّة ولا دعاة حرب أو سفك دماء)[٢]

وقال ابن تيمية: (والرسالة ضرورية في إصلاح العبد في معاشه ومعاده، فكما أنه لا صلاح له في آخرته إلا باتباع الرسالة، فكذلك لا صلاح له في معاشه ودنياه إلا باتباع الرسالة، فإنّ الإنسان مضطر إلى الشرع، فإنه بين حركتين، حركة يجلب بها ما ينفعه، وحركة يدفع بها ما يضرّه، والشرع هو النور الذي يُبيِّن ما ينفعه وما يضرّه، والشرع نور الله في أرضه، وعدله بين عباده، وحصنه الذي من دخله كان آمناً).[٣]

إذا كان هذا قدرا يسيرا من تجلي أثر هذه النعمة العقلية على الإنسان ، فكيف بقدره عند الخالق عز وجل الذي جعل العقل في الإنسان مناط التكليف والثواب والعقاب وكل ما يؤاخذ ويُحاسب عليه الإنسان ؟

لقد جعله الله أسمى ما في الوجود لأثره على العباد والبلاد، ولهذا فقد اختار الله عز وجل رسله كلهم من أهل الفطنة والعقل، حتى يتثنى لهم أن يبلغوا للخلق الرسالة على الوجه المطلوب .

ومع هذا فلا يمكن للعقل أن يستقل بذاته عن نور الله المتمثل في وحيه وشرعه (فلا يمكنها الاهتداء إلى حقيقة الإيمان والمعرفة ووجوه الطاعات، وليس أدل على ذلك ما حدث قبل الرسالات الإلهية من الضلال والبغي؛ الذي شمل العالم في الأزمان الغابرة؛ بل ما حدث بعد أن خفت صوت الرسل وضاعت معالم الرسالات الماضية إلى قرب رسالة خاتم المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إذ كان الناس يعبدون الأحجار والأشجار، ويؤله بعضهم بعضًا، ويستذل بعضهم بعضا؛ بل إن المصريين القدامى مع ذكائهم وعبقريتهم ألهوا الفراعنة، وعبدوا العجل، وحدث ذلك مع أهل الروم واليونان، كل ذلك مع علو كعبهم وعبقريتهم العلمية في الفلسفة والأخلاق والقانون) [١]

ولهذا فإن الجمع بين العقل والوحي هو الكمال والسعادة التي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عنها حينما قال: "ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد ـ صلّى الله عليه وسلّم، رسولا"[٢]

فأساس معرفة الرب عقلية؛ ثم تأتي الأديان ويأتي الرسل بالوحي والنور الإلهي الذي يقيم حياة العباد على الهدى والرشاد الموصل لنعيم الله في الدنيا والآخرة.

المطلب الثالث: نعمة العقل

من أعظم تلك النعم التي أنعم الله بها على الإنسان وفضله بها على سائر المخلوقات هي نعمة العقل، لأن العقل المحطة الأولى للإنسان وميزانه الحقيقي الذي يزن به أمور الحياة وبالعقل أصبح الإنسان مدركاً لما حوله من الأمور، وبه استدل على خالقه، وعرف الخير والشر والصالح والطالح، لذلك يجب أن نعرف حق العقل ونعمه وكيف نحافظ عليه، لذلك نجد أن الإسلام جعل العقل مناط التكليف في الأعمال ودليل الثواب والعقاب، ولهذا نجد اهتمام الإسلام بالعقل بلغ ذروته، ولهذا نجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : "لا عقلَ كالتدبير، ولا ورع كالكفِّ، ولا حَسَب كحُسن الخُلق".

فما هو العقل؟

العقل: اسم يقع على المعرفة بسلوك الصواب، والعلم باجتناب الخطأ، فإذا كان المرء في أول درجاته يسمَّى أديبًا، ثم أريبًا، ثم لبيبًا، ثم عاقلاً[١].

لهذا جاءت السنة النبوية تبين لنا عِظم العقل وقدره، وفيما يلي بعض ما جاء في السنة عن العقل وفضله :

- في الصحيحَيْن من حديث النعمان بن بشير - رضي الله عنهما -: "ألا وإن في الجسد مُضغة، إذا صلَحتْ صلَح الجسدُ كلُّه، وإذا فسدتْ فسد الجسد كلُّه، ألا وهي القلب"، فإذا آمن القلْبُ، آمنت الجوارح بفِعْل المأمورات وترْك المنهيَّات؛ لأنَّ القلب أمير البَدَن، وذلك يدلُّ دلالة واضحة على أن القلب ما كان كذلك، إلا لأنه محل العقل الذي به الإدراك والفَهْم[٢]

- وقوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه أبو مسعود الأنصاري، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح مناكبنا في الصلاة، ويقول: "استووا ولا تختلفوا، فتختلف قلوبكم، ليلني منكم أولو الأحلام والنُّهى، ثمّ الذين يلونهم"[٣]

وأولو الأحلام والنهى همم العقلاء، وهذا مدح للعقل وأهله، قال الإمام النووي: "أولو الأحلام" هم العقلاء، وقيل: البالغون، والنُّهى بضم النون: العقول، فعلى قول من يقول: أولو الأحلام العقلاء، يكون اللفظان بمعنى، فلما اختلف اللفظ عطف أحدهما على الآخر تأكيداً، وعلى الثاني معناه: البالغون العقلاء، قال أهل اللغة: واحدة النُّهى نُهية بضم النون، وهي العقل، ورجل نه ونهى من قوم نهين، وسمي العقل نُهية، لأنه ينتهى إلى ما أمر به ولا يتجاوز، وقيل: لأنه ينهى عن القبائح..."[٢]

- وقوله صلى الله فيما يرويه ابن عبّاس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاشجّ عبد القيس[٣]: "إنّ فيك خصلتين يحبّهما الله: الحلم والأناة"[٤]. والحلم يُطلق ويُراد به العقل، قال الإمام النووي: "الحلم هو العقل، وأمّا الأناة فهي التثبّت وترك العجلة"[٥].

- وقوله صلى الله عليه وسلم: "رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن المعتوه، أو قال: المجنون، حتى يعقل، وعن الصغير حتى يشب"[٦]

فقلم التكليف مرفوع عن المجنون حتى يعقل، لأنّ العقل هو مناط التكليف، والعقل هو القادر على تفهّم الوحي الإلهي وتدبّره والتفكر فيه، وهو الذي يبحث عن مراد الله تعالى فيما أمر به ونهى عنه.

إن الله عز وجل جعل العقل طريق الارتقاء في مدارج العلا والتقوى، وبغير التعقل لم ينل الإنسان منزلته التي كرمه الله من أجلها، وقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم هذه المنزلة؛ كما روى الحاكم في "المستدرك"، من حديث سهل بن سعد - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "إن الله كريم يحب الكرم، ويحب معالي الأخلاق، ويكره سفسافَها" ؛ أي: دنيئها وخسيسها[٧]. فمعالي الأخلاق وحسن الأعمال والأفعال لا يأتي إلا بالعقل الراشد.

قال ابن حبان: وإنَّ محبة المرء المكارم منَ الأخلاق وكراهته سفسافها، هو نفس العقل، فالعقل به يكون الحظ، ويؤنس الغربة، وينفي الفاقة، ولا مال أفضل منه، ولا يتمُّ دين أحد حتى يتم عقلُه، وهو من أفضل مواهب الله لعباده، وهو دواء القلوب، ومطية المجتهدين، وبذر حراثة الآخرة، وتاج المؤمن في الدنيا، وعُدَّته في وقوع

النوائب، ومن عدم العقل لم يزدْه السلطان عزًّا، ولا المال يرفعه قدرًا، ولا عقل لمن أغفله عن أخراه ما يجد من لذَّة دُنياه. [1]

المطلب الرابع: نعمة الصحة

من أجلّ النعم بعد نعمة الإسلام والهداية ؛ نعمة الصحة والعافية، وسلامة الأعضاء من الآفات والأمراض، فالصحة كما تقول الموسوعة العربية العالمية، هي حالة الإنسان الخالية من الأمراض، كما تعني الراحة البدنية والعقلية والاجتماعية، فالإنسان الصحيح هو الذي يشعر بالسلامة البدنية، وهو ذو نظرة واقعية للحياة، ويتعامل مع غيره من الناس بصورة جيدة، ومعنى الصحة يشمل السلامة من الأمراض وذهاب المرض بعد حلوله..

وبالصحة يمكن للمرء مزاولة الكثير من الأعمال، وأداء الكثير من العبادات والطاعات التي يثاب عليها المرء، وقد تواترت السنة بما يدل على تفضل الله عز وجل بنعمة الصحة والعافية على عباده، وفيما يلي بعض بعض ما جاء في فضل الصحة:

- جاء في الحديث: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم-: "نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ" (١)

والغبن المقصود به الخسارة، فتجد الكثير من الناس لا يقدرون هذه النعمة العظيمة، ولا يستخدمونها في موضعها، ولا يقدرون أهميتها وقيمتها، لذا فهم يستعملونها فيما لا يرضي الله ولا يرضي رسوله -صلى الله عليه وسلم-، وكأن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "من لم يحسن استعمال هاتين النعمتين فقد ظلم نفسه، ومَنْ اسْتعمل فراغه وصحَّته فِي طاعة الله فهوَ المغبوطُ. ومَنْ اسْتعملهما فِي معصية الله فهوَ المغبونُ". (٢)

- ولأن الصحة مدار الفعل في جسد المرء فقد حثنا النبي الكريم عليه الصلاة والسلام على استغلال تلك النعمة في طاعة الله ورسوله فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: "بادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا: هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُنْسِيًا، أَوْ غِنًى مُطْغِيًا، أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا، أَوْ هَرَمًا مُفَنِّدًا، أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا،

أَوْ الدَّجَّالَ؛ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوْ السَّاعَةَ؛ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ"(٣)

- وكان النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - يوصي أصحابَه بسؤال الله العافيةَ في الدنيا والآخرة، وما ذاك إلا لقدرِ هذه النعمةِ العظيمة، التي تقاصرت هممنا في طلبِها لانشغالنا بالدُّنيا وزينتها، فكثيرًا ما نسأل بعضنا عن أشياء من متاعِ الحياة الدنيا، وتجدنا نهتمُّ ونحرصُ على ذلك مهما كلَّفنا من وقتٍ، بينما نهملُ جانبًا عظيمًا وصَّى النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - به عمَّه وعلَّمَه دعاءً عظيمًا، ولا يوصي إلا بعظيمٍ؛ فعن أبي الفضلِ العباس بن عبد المطلب - رضي الله عنه - قال: قلتُ يا رسول الله، علِّمني شيئًا أسأله الله - تعالى - قال: "سلوا الله العافية"، فمكثتُ أيامًا، ثم جئتُ فقلتُ: يا رسول الله، علمني شيئًا أسأله الله - تعالى - قال لي: "يا عباس يا عم رسول الله، سلوا الله العافيةَ في الدنيا والآخرة" (٢)

- قد أوصانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحسن استثمار هذه النعمة، قال: "اغتنم خمساً قبل خمس شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك،

وحياتك قبل موتك" وإن من حسن استثمارها أن يجعل منها عوناً له على طاعة الله تعالى، وأن يسعى بها في خدمة مجتمعه ووطنه، فخير الناس أنفعهم للناس. [٣]

- وكان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجاءة نقمتك وجميع سخطك"[٤]

ومن فوائد الصحة، الاستمتاع بالحياة، وتهيئة الفرص للناس للوصول إلى أهدافهم بصورة كاملة، وامتلاك العزم والقوة والقدرة على تحمل ضغوط الحياة اليومية، والقيام بالتكاليف الشرعية على أحسن وجه، والحصول على الأجور والحسنات من الله، والتي تجعل الإنسان سعيدا بالراحة النفسية، والاستمتاع بالخيرات والبركات في الحياة الدنيا، وأما في الآخرة فبدخول الجنة. أبحاث ونعمة صحة الأبدان، فيها وحدها من النعم ما لا تستطيع نفس بشرية أن تدركه، وكلما أوغل علم الطب في أبحاثه واكتشافاته، أدرك أن قيمة هذه النعمة فوق تصورات البشر.

بل إن الله عز وجل إذا ابتلى عبده بشيء من المرض فإنه يُـنعم عليه به في ميزان حسناته، وهذا مصداقا لقول النبي صلى الله عليه وسلم:

"مَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يُصَابُ بِبَلَاءٍ فِي جَسَدِهِ إِلَّا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ يَحْفَظُونَهُ فَقَالَ اكْتُبُوا لِعَبْدِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ مَا كَانَ يَعْمَلُ مِنْ خَيْرٍ مَا كَانَ فِي وِثَاقِي"(٥)

ولا يعد هذا قبحًا من الله عز وجل؛ إذ أن حكمته سبحانه لا تحدها العقول، فله عز وجل في كل شيء نعمة وتفضل على عباده، ومن جميل ما تفضل به الله على عباده من الابتلاء هو "رفع الدرجات"؛ فالله تعالى يرفع درجة المؤمن ليطهره وينقيه؛ وتلكم عين النعم، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا فقال:"إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَنْزِلَةٌ لَمْ يَبْلُغْهَا بِعَمَلِهِ ابْتَلَاهُ اللَّهُ فِي جَسَدِهِ أَوْ فِي مَالِهِ أَوْ فِي وَلَدِهِ، ثُمَّ صَبَّرَهُ عَلَى ذَلِكَ ثُمَّ اتَّفَقَا حَتَّى يُبْلِغَهُ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى "(١)

فالله عز وجل له كامل النعم والإنعام على كافة عباده، ولم تكن في شرائع الأقوام السابقة ميزة هذا النعيم. فلا يسع المسلم إلا أن يحافظ ما أمكنه ذلك على نعمة الصحة، ولا يجب أن يتذبذب بالابتلاءات العارضة عليه لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَه"(٢)

وقال: "يود الناس يوم القيامة أن جلودهم كانت تقرض بالمقاريض في الدنيا لما يرون من ثواب أهل البلاء" [٣]

وللمحافظة على نعمة الصحة والعافية شرع الإسلام جملة من الآداب التي تدفع عن الإنسان أسباب المرض، وتديم عليه العافية، فشرع الطهارة والنظافة والاغتسال، والوضوء، والسواك والمضمضة، والاستنشاق، وإزالة النجاسة، وغير ذلك من الوسائل الوقائية.

الخاتمة

لما أنعم الله -عز وجل- على عبده، حيثُ أوجده من العدم وأمده بالنعم، وكانت الفاتحة فاتحة الكتاب، بدأها الله - عز وجل -، بالحمد والثناء علي الله -عز وجل-، ليحمد العبد ربه -عز وجل- دائما علي ما أنعم به عليه من نعمه العظيمة ، وآلائه الجسمية، حيث أرسل إليه أفضل رسله، وأنزل عليه أشرف كتبه، وشرع له أفضل شرائع دينه، وجعله من خير أمة أخرجت للناس، وهداه لمعالم الدين الذي ليس فيه التباس.[١]

ولما كانت الصلاة هي الصلةُ بين العبد وربه، افتتحها بفاتحة كتابه، ليبتدئ المصلي صلاته بحمد ربه والثناء عليه، وبعد التكبير وقبل قراءة الفاتحة يُسن للمصلي أن يدعو بدعاء الاستفتاح كما علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك"[٢]

ويستفتح قيام الليل: " اللَّهُمَّ .. لك الحمد أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن .. ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن .. ولك الحمد أنت ملك السماوات والأرض ومن فيهن .. ولك الحمد أنت الحق، ووعدك حق ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، اللَّهُمَّ لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت، لا إله غيرك.[٣]

وفي الركوع يقول: سبحان ربي العظيم (ثلاثا) ثم يستحب أن يقول: " سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي" [٤]

ثم يرفع رأسه من الركوع، رافعاً يديه إلى حذو منكبيه أو أذنيه قائلاً: "سمع الله لمن حمده" إن كان إماماً أو منفرداً، ويقول بعد قيامه: "ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ملء السماوات وملء الأرض، وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد"، وإن زاد؛ أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد" فهو حسن " [١]

ثم يسجد ويقول: " سبحان ربي الأعلى " (ثلاثا) ثم يُستحب أن يقول: " سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي " ثم يقول: " اللهم لك سجدت، وبك آمن، ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره، تبارك الله أحسنُ الخالقين ".

وبعد التسليم: يستغفر الله ثلاثاً ويقول: "اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، لا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، له النعمة وله الفضل

وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون"[٢]

كل هذا الشكر لله عز وجل والثناء عليه ليس مما يُضيف شيئًا له سبحانه ؛ فهو الكامل الغني، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم يُعلمنا بسنته القولية والفعلية معنى وطريقة شكر الله عز وجل على عظيم نعمه وجميل عطائه ، وقد كان صلى الله عليه وسلم كثير الشكر لله تعالى على تفضله وإنعامه، وهذا ما جعل الصحابة ومن سار على دربهم يُدركون حقيقة الدنيا التي ملأها الله بالمنن الكثيرة، حتى تجد الواحد منهم لا يكاد يبرح كلامه أو يبدأ حديثه إلا بشكر الله والثناء عليه ؛ فقد كان الحسن البصري يبدأ مجلسه بالحمد والثناء: اللَّهُمَّ ربنا لك الحمد بما خلقتنا ورزقتنا، وهديتنا، وعلمتنا وأنقذتنا، وفرجت عنا ، لك الحمد بالإيمان، ولك الحمد بالإسلام، ولك الحمد بالقرآن، ولك الحمد بالآهل والمال والمعافاة كبت عدونا، وبسطت رزقنا ، وأظهرت أمننا ، وجمعت فرقتنا ، وأحسنت معافاتنا ، ومن كل ما سألناك ربنا أعطيتنا ، فلك الحمد علي ذلك حمدا كثيرا، لك الحمد بكل نعمه أنعمت بها علينا في قديم أو حديث، أو سر أو علانية، أو خاصة أو عامة، أو حي أو ميت، أو شاهد أو غائب ، لك الحمد حتى ترضي ، ولك الحمد إذا رضيت). [١]

الدلالات الدعوية المستفادة من هذا المبحث:

يمكننا أن نستنتج بعض القيم، والفوائد، والدلالات الدعوية من هذا المبحث لكل من الداعية والمدعو والدعوة؛ **فبالنسبة للمدعو** فإنه بمعرفة فضل الله عز وجل عليه وإنعامه له يُدرك أن قدرة الله تعالى عظيمة؛ مما يدفعه إلى الاستقامة قدر الإمكان، إن لم يستقم بالخوف والتخويف، يستقيم بالحياء والتذكر؛ فكيف لقلب يعرف نعمة الله عليه ويُكِن فضله عليه أن يعصيه ولا يستحي!

أما الداعية، فإنه مع الاستفادة التي يُجزى بها من إيقاظه للحياء من معصية الله في قلوب العباده الغارقون في إنعامه سبحانه، فإنه يزداد معهم إيمانا وحياءا لما يجد في نفسه من تأثير العلم بمعرفة نعم الله عليه؛ لأنه عبد قبل أن يكون داعية.

ومن هنا نعرف **استفادة الدعوة** من هذا المبحث؛ وهذه الاستفادة تكمن في إظهارها دعوة نقية جميلة كما أنزلت من عند الله بالتزام العباد بها وتطبيقها.

المصادر والمراجع

١- محمد قطب؛ منهج التربية الإسلامية،دار الشروق.

٢- المركز الثقافي الاسلامي مجمع الامامين الحسنين عليهم السلام، الطبعة الاولى ٢٠١٤م.

٣- مجموعة الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ، دار الوفاء ، الطبعة الاولى.

٤- تفسير القرآن العظيم تفسير ابن كثير، طبعة طيبة.

٥- الرحلة إلى إفريقيا طبعة مجمع الفقه.

٦- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء طبعة الفقي.

٧- فتح الباري شرح صحيح البخاري، الطبعة السلفية

٨- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء

٩- الأنوار النعمانية في الدعوة الربانية، المؤلف: محمد علي محمد إمام، الناشر: مطبعة السلام - الطبعة: الأولي، ٢٠١١ م.

١٠- حاجة البشرية إلى الرسل عليهم السلام ، أ. د. إبراهيم عبد الشافي إبراهيم. مجلة الداعي الشهرية الصادرة عن دار العـلوم ديوبند ، ربيع الآخر ١٤٤٠ هـ = ديسمبر ٢٠١٨م – يناير ٢٠١٩م ، العـدد : ٤ ، السنـــــة : ٤٣.

أديان العالم الكبرى

الدين هو مجموعة الآراء والمعتقدات التي يتبناها الفرد ويدافع عنها بكل حماس..

وبما أن الدين هو أقدم ظاهرة عرفها الإنسان على وجه هذه الأرض، ينبغي أن يقف الإنسان وقفة ولو قصيرة، ليتعرف إلى أهم الآراء والمعتقدات التي اتخذتها شعوب الأرض دينًا لها؛ ففي هذا إكمال للفهم وتصحيح للمفاهيم الخاطئة بين بعض المتدينين.

إن الفكر المصري القديم مع أنه تلاشى وذهب، فإنه كان من أعظم الأفكار نظرة في الحياة، وتأثيرًا في الأمم من بعده. إلا أننا نجد أنهم في حين إدراكهم لبعض الحقائق الغيبية كالحياة بعد الموت والحساب. نجدهم قد انحرفوا في تصور الإله الخالق، فقد صاروا يؤلهون بعض المظاهر الطبيعية المختلفة، حتى إن كل مدينة كان لها آلهتها المختلفة عن غيرها، وصاروا يعبدون الحيوان، والأبرار من الأموات، ويعدونهم آلهة. وقد كان لهذا تأثير بالغ في عقائد اليونان والرومان؛ حتى اقتبس الرومان بعض أسماء آلهتهم من المصريين؛ فعندهم

إيزيس إله القمر، ولوزيريس إله الزراعة، وهراميس إله الشتاء. ومن ثمَّ تأثر اليونان تأثرًا بليغًا، حتى إن فلسفة الإغريق كانت مُلهمة لرجال الدين المسيحي. ولكن لم يكن المصريون إذن قد خلوا في كل عصورهم من دعوات إلى التوحيد كدعوة يوسف وموسى عليهما السلام.

الهندوسية تعد من الديانات المتعددة الآلهة، فقد عدوا لكل ظاهرة إله. ولم يصل هؤلاء إلى عبادة هذه الظواهر دفعة واحدة، وإنما مروا بمراحل انتهت بهم إلى عبادتها، فقد كان لجمالها تأثير في نفوسهم مما جعلهم يعدونها آلهة ويدعونها عند الحاجات.

ولم يصل الأمر بهم لهذه الدرجة فقط، ولكنهم قالوا بالتثليث، وقد تأثر بهم في ذلك النصاري. "فقد جمعوا الآلهة في إله واحد، وأطلقوا عليه ثلاثة أسماء، فهو براهما من حيث هو موجود، وفشنو من حيث هو حافظ، وسيفا من حيث هو مهلك.

فالإله يظهر بثلاثة أشكال بأعماله من خلق وحفظ وإعدام، لكنه في الحقيقة واحد، ومن عبد أحد الثلاثة فكأنه عبدهم جميعًا". وهذا غريب عن أصل هذه الديانة؛ فقد جاء في كتبهم نصوص تدل على الوحدانية

والتنزيه للخالق، ومنها على سبيل المثال:

-هو واحد أحد لا ثاني له (شاندوجيا ١:٢:٦)
-لا والد له ولا والدة له و لا سيد فوقه (سفيتاسفتارا ٦:٩)
-ليس له مثل (أو شبيه) (سفيتاسفتارا ٤:١٩)
-لا يمكن رؤيته أو تجسيده، لا يمكن رؤيته بالعين (سفتاسفتارا ٤:٢٠)
-لا صورة له (لا يمكن تصوره ولا يمكن تصويره) (ياجورفيدا ٣٢:٣)
-هو نقي (طاهر) و لا جسد له (ياجورفيدا ٤٠:٨)
-الذين يعبدون المخلوقات والمصنوعات إنهم يغرقون في الظلمات(ياجورفيدا ٤٠:٩)
-أيها الأصدقاء لا تعبدوا سواه، القدوس، ادعوه هو وحده(ريجفيدا١:١:٨)

أما الزرادشتية فقد دعا زرادشت إلى عبادة إله واحد لقبه "أهورامزدا" ومعناها "السيد الحكيم"، ولكنه جعل النار رمزًا للإله، على عكس المجوس الذين يعبدونها، فالزرادشتيون يقدسون النار لكن لا يعبدونها.

وأنكر زرادشت الوثنية تمامًا، وحارب تعدد الآلهة، وجعل الخير المحض من صفات الله، ونزل بإله الشر إلى أدنى الدرجات مقامًا وقدرًا، ووصفه بأنه مارد مطرود ونزل به إلى درجة المخلوق، ونفى عنه الألوهية تمامًا.

وبشر زرادشت بالثواب وأنذر بالعقاب، وقال بخلق الروح قبل الجسد، وقصر العبادة على إله واحد وصفه بأعلى وأقدس صفات التنزيه التي يمكن أن يعرفها أهل زمانه.

"ووصف زرادشت الخير بأنه غالب دائم والشر بأنه مغلوب منظور إلى أجل مسمى"

لكنَّا اليوم نرى من ينتسبون إلى الزرادشتية قد انحرفوا تمامًا عن تعاليم زرادشت؛ فأصبحوا تقريبًا كالمجوس يعبدون النار، ولم يعد لهم أي صلة بتعاليم زرادشت.

والبوذية تنسب إلى بوذا المُعلم، لكن بوذا لم يتطرق أبدًا إلى فكرة

الإله، إنما كان يدعو الناس إلى تعاليمه التي تقوم على التجرُّد والزُّهد تخلُّصًا من الشهوات.

لكن أتباعه قد انحرفوا عن تعاليمه بعد وفاته حتى جعلوا منه إلهًا وعبدوه! وكذلك الانحرافات دائمًا إنما تكون نابعة من جهل الأتباع أو إفراطهم في حب المُتَبَع.

"واتجه بعض اتباعه إلى أن بوذا ليس إنسانًا محضًا بل إن روح الله قد حلت به، وهذه العقيدة تشبه عقيدة النصارى في عيسى، فقد قالوا بحلول الإله فيه، وجعلوا له طبيعتين ناسوت ولاهوت".

والكونفوشيوسية ديانة أهل الصين، وهي ترجع إلى الفيلسوف كونفوشيوس، ويعتقدون بالإِله الأعظم أو إله السماء، ويتوجهون إليه بالعبادة، كما أن عبادته وتقديم القرابين إليه مخصوصة بالملك، أو بأمراء المقاطعات، كما يعتقدون أن للأرض إله، ويعبده عامة الصينيين، وأن للشمس والقمر، والكواكب، والسحاب، والجبال... لكل منها إله. وعبادتها وتقديم القرابين إليها مخصوصة بالأمراء.

والأغرب أنه عندما مات كونفوشيوس قدسه أتباعه فصاروا يعبدونه، ولم يكن كونفوشيوس نفسه يدعي أنه إله.

"وعبادة الصينيين غناء ورقص وموسيقى، وكأنهم بهذه الأعمال يشركون آلهتهم معهم في سرورهم وأفراحهم وأغانيهم وموسيقاهم".

"والكونفوشيوسية ليست دينًا في نظر كثير من المفكرين؛ لأنها مجموعة من الحكم والأقوال العظيمة تفوه بها كونفوشيوس".

أما اليهود فهم أتباع النبي موسى عليه السلام، وغالبيتهم مؤمنون بفكرة "أنهم شعب الله المختار" منطلقين في هذا من كتبهم التي لم ترض لهم عقولهم إلا بتحريفها وفقًا لأغراضهم البشعة في العالم، فمع أنهم قد شوهوا صورة الدين الذي جاء به موسى -عليه السلام- نقيًا من عند الله، وأضافوا لله ما لا يستحق أن يضاف إلى خالق عظيم حكيم، كما هو موجود في سفر التكوين ما نصه: "وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل، فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل". وفي سفر الخروج قالوا: "لأنه في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض، وفي اليوم السابع استراح وتنفس".

ولم تكتفِ هذه العقول بالتقليل من شأن الله سبحانه، بل انتقصت من شأن الأنبياء أيضا كما جاء في التثنية موسى عليه السلام: "ومت في الجبل الذي تصعد إليه، وانضم إلى قومك، كما مات هارون أخوك في جبل هور وانضم إلى قومه. لأنكما خنتماني، إذ لم تقدساني في وسط بني إسرائيل". إن موسى وأخيه عاشا حياتهما تقديسًا لله وتبليغًا لرسالته للناس فكيف تقع خيانة كهذه من نبي خصوصًا وسط بني إسرائيل؟!

إلا أننا نجدهم مع هذا التخبط العقدي في الخالق وفي رسوله أسوأ تخبطًا منه مع الآخرين أو الجوييم كما يعبرون عن غير اليهودي. جاء في التلمود الذي يقدسونه كتقديسهم للتوراة أو أشد: "لا يجب لليهودي أن يدفع الأجر لغير اليهودي الذي قام بعمل له".(سنهدرين-٥٧- أ)، " إذا قتل شخص يهودي شخصًا غير يهودي، فان اليهودي لا يعاقب بالقتل، ما يسرقه اليهودي من غير اليهودي يمكنه الاحتفاظ به". (سنهدرين-٥٧-أ)، "غير اليهودي الذي يستريح يوما يستحق القتل، لأنه مكتوب، وليلا ونهارا يجب ألا يستريحوا".(سنهدرين-٥٨- ب). هذه النظرة الإقصائية التي يتبناها غالبية اليهود تجسدت في الواقع

عندما قام جزء منهم باحتلال أرض ليست ملكًا لهم مستدلين على أن هذا حقهم من كتابهم، ففي سفر التكوين يقول الرب لإبراهيم: "وَأُعْطِي لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أَرْضَ غُرْبَتِكَ، كُلَّ أَرْضِ كَنْعَانَ مُلْكًا أَبَدِيًّا. وَأَكُونُ إِلهَهُمْ. وَقَالَ اللهُ لإِبْرَاهِيم: وَأَمَّا أَنْتَ فَتَحْفَظُ عَهْدِي، أَنْتَ وَنَسْلُكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ".

وجهلوا أن هذا النص مُـــحرف ليس من كلام الرب، لأن الرب قال: "وَإِنْ قُلْتَ فِي قَلْبِكَ: كَيْفَ نَعْرِفُ الْكَلاَمَ الَّذِي لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ الرَّبُّ؟ فَمَا تَكَلَّمَ بِهِ النَّبِيُّ بِاسْمِ الرَّبِّ وَلَمْ يَحْدُثْ وَلَمْ يَصِرْ، فَهُوَ الْكَلاَمُ الَّذِي لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ الرَّبُّ، بَلْ بِطُغْيَانٍ تَكَلَّمَ بِهِ النَّبِيُّ، فَلاَ تَخَفْ مِنْهُ". (التثنية ١٨/٢١).

فـــكلام الرب هو الذي يحدث و يقع، وكـــلام غيره لا يَحْدُثْ وَلَا يَصِر. وهذا الكلام المذكور في (سفر التكوين ١٧/٨) لم يحدث؛ والدليل ما جاء في (سفر التكوين ٢٥/٩): "وَأَسْلَمَ إِبْرَاهِيمُ رُوحَهُ وَمَاتَ بِشَيْبَةٍ صَالِحَةٍ، شَيْخًا وَشَبْعَانَ أَيَّامًا، وَانْضَمَّ إِلَى قَوْمِهِ. وَدَفَنَهُ إِسْحَاقُ وَإِسْمَاعِيلُ ابْنَاهُ فِي مَغَارَةِ الْمَكْفِيلَةِ فِي حَقْلِ عِفْرُونَ بْنِ صُوحَرَ الْحِثِّيِّ الَّذِي أَمَامَ مَمْرَا، الْحَقْلِ الَّذِي اشْتَرَاهُ إِبْرَاهِيمُ مِنْ بَنِي حِثٍّ. هُنَاكَ دُفِنَ إِبْرَاهِيمُ وَسَارَةُ امْرَأَتُهُ". فلم يحصل إبراهيم على أي شيء قبل

وفاته، بل إنه اشترى موضع دفنه ودفع ثمنه، فهو لم يُــعْطِ كُلَّ أَرْضِ كَنْعَانَ مُلْكًا أَبَدِيًّا ونسله كما قيل في (سفر التكوين ١٧/٨.(

فانظر كيف يستبيحون حقوق الآخرين باسم الدين، وكيف هي نظرتهم للحياة والناس، كيف سيكون الوضع لو حكم هؤلاء العالم وتمكنوا منه؟!

أما المسيحيون فهم أتباع السيد المسيح عيسى عليه السلام، يقولون إن الله جوهر واحد في ثلاثة أقانيم أو أشخاص: الآب والابن والروح القدس.

فيقولون: إيماننا بالله الآب الذي يمثل ذات الله لأنه أصل الوجود وعِلة كل شيء فيه، وكلمته الذي نطلق عليه الابن لأنه قدرته المولود منه والذي به صنع الوجود وبدونه لا يعمل شيئًا، وروح قدسه الذي هو روح الحياة فيه والذي به يعطي الحياة لكل موجود. وبالإجمال إله واحد؛ موجود بذاته، وحي بروحه، ناطق بكلمته.

فهم يعتقدون أن الابن والروح القدس صفات لله، لكنهم جوزوا عليها الاستقلال والانفصال في الشكل!

ويقولون إن هذه الأقانيم الثلاثة متساوية، سرمدية، وقادرة على كل شيء. إذًا الله إله واحد ثالوث. واحد في ذاته، ثالوث في خصائص كيانه؛ الوجود والنطق والحياة.

لكن لم يرد مصطلح الثالوث مطلقًا في الكتاب المقدس.

وقد جوزوا على الصفات الإلهية الانفصال والانفكاك. وهذا باطل من وجوه: الأول: لو انفصلت الصفة عن الذات لصارت ذاتا أخرى. الثاني: الصفات دائمًا قائمة بالذات لا تنفك ولا تنفصل ولا توجد الا بوجود الذات، فالصفات من لوازم الذات، فلو جاز عليه الانفكاك لترتب على ذلك نقص في الذات (والله عز وجل كامل). الثالث: أن النصاري -بزعمهم- ميَّزوا الابن الإله بالفداء والصلب، والآب الإله بالخلق، والروح القدس الإله بالتقديس، ولا يستطيع أحد أن يأخذ صفة الآخر، وهذا التمييز يُثبت التغاير بينهم أولا، وثانيًا يُثبت العجز لكل منهم، لأنه لا يستطيع أن يأخذ أحد ميزة الآخر.

ثم أنه جاء في الكتاب المقدس في ملاخي ٣/٦: "لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ لاَ أَتَغَيَّرُ". فكيف تتفق عقيدة التثليث التي تقول بالتغاير مع الكتاب المقدس الذي يقول بأن الرب لا يتغيَّر؟

كما جاء في يوحنا ١٧/٣ على لسان عيسى: "وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته". فكيف يؤلهون نبيًا يخبرهم أنه رسول الله؟!

هل نحاول فهم هذا الأمر أم نسلم له كما يقول "باسيليوس" في كتاب (الحق): "إن هذا التعليم من التثليث فوق إدراكنا"؟!

المسلمون يقولون: "بسم الله الرحمن الرحيم" لكن الله عندهم واحد أحد، والرحمن والرحيم أسماء من أسمائه تعالى وصفات من صفاته، وهي لا تنفك عنه ولا تنفصل، والنصارى يعتقدون خلاف ذلك، وهذ هو لب الخلل عند النصارى!

كما يعتقد المسيحيون أن المسيح قد حمل خطايا البشر ومات مصلوبًا لينجو المؤمنين بالصليب. والصلب هو: التعليق على خشبة. وجاء في

التوراة (التثنية ٢١:٢٣): "وإذا كان على إنسان خطيئة حقها الموت، فقتل وعلقته على خشبة فلا تبت جثته على الخشبة، بل تدفنه في ذلك اليوم، لأن المعلق ملعون من الله". فهل يستقيم هذا مع قولهم بالصلب؟ وهل من العدالة الإلهية أن يحاسب الإنسان على فعل غيره؟ كما أن الكتاب المقدس ينص على أنه: "لا يقتل الآباء عن الأولاد، ولا يقتل الأولاد عن الآباء. فكل إنسان بخطيئته يقتل". (تثنية ١٦ : ٢٤). فهل تتوافق عقيدة الصلب مع ما جاء في كتابهم هذا؟

والإسلام الذي هو دين النبي محمد -عليه السلام- يؤمن أتباعه بالقرآن أساسًا لهذا الدين، كما يؤمنون بالسنة -التي هي تطبيق النبي محمد للقرآن- في فهم هذا القرآن ومسايرة الواقع وكيفية التعامل مع الآخرين، يؤمن المسلون بإله عظيم "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير". كما يؤمنون -كغيرهم- بالحياة بعد الموت، والحساب، والنعيم للصالح والعذاب للمُسيء، إلا أن هناك كثيرًا من الانحطاط الخُلقي والحضاري والاجتماعي المنتشر بينهم في الحياة، فهل أمرهم دينهم بالتكاسل والاستكانة والرضوخ للجهل والرضى بالدون؟

إن القرآن يميّز بتفضل بين العالم والجاهل فيقول: "قل هل يستوي

الذين يعلمون والذين لا يعلمون". ويقول محمد عليه السلام: "من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة" فهل هناك صرخة مدوية تحض على العلم وتجعله أمرًا دينيًا يوصل للجنة والنعيم كما نراه في الإسلام!

كما يُحرم ما يسبب الخلل في حياة الإنسان ونظام الكون فيقول: "قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ".

ويأمر الإسلام أتباعه ببث الخير بين بني البشر، ويحثهم على مجابهة المنكر "ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر".

فهل هذه تعاليم تخلف وتأخر، أم أنها تعاليم العزة والتحضر؟

هذه أكبر الأديان انتشارًا في العالم بين المتدينين، أصل غالبيتها سماحة وحب وخير للجميع، لكن ما تمر الأيام حتى ينحرف الأتباع عن تعاليم دينهم وطريقتهم، فيفسدوا في الأرض باسم الدين وينتهكوا الحرمات باسم التدين!

ولو أنهم أنصفوا لعاش كل متديني العالم في حب وسلام، وما وجدنا النزاع الطبقي والاستبداد العنصري يغزو العالم!

التصوف طريق المُحبين

(أحبك حبَّين: حب الهوى وحبًّا لأنك أهل لذاك). رابعة العدويّة.

اختلفت الآراء والتعريفات حول "التصوف" وتحديد ماهيته وحقيقته، لكن البلبلة التي أثيرت حول التصوف لتنجلي إذا علمنا أن "التصوف" منهج وطريقة في السير إلى الله رب العالمين والوصول لقربه ومحبته.

هذا الطريق ما كان يومًا ليكون مخالفًا لمبادئ الإسلام وشريعته، وإن وجد أُناس يدّعون الانتساب للتصوف والسير على دربه مُخالفين بطريقتهم طريقة القرآن العظيم والنبي الكريم في إرساء القواعد العامة والوجهة الأساسية للسير في طريق الحق والحقيقة ؛ إن وجد هؤلاء فالإسلام والتصوف والمسلمون برءاء منهم ومن أفعالهم، لأن التصوف منهج منبثق من القرآن والسنة، وهذا ما أكد عليه الجُنيد رحمه الله عندما أشار وعرف بطريقتهم فقال: "طريقنا هذا طريق القرآن والسنة، وكل من خالف القرآن والسنة فاضربوا به عرض الحائط"

إذا؛ فلا ذنب للمنهج بسوء اتباع سالكيه، ولا ذنب للتصوف بانحراف مدعيه؛ كما لا ذنب للإسلام عمومًا بميل مسلميه للفواحش والآثام!

إن كان هذا الإنسان صوفيًا بحق؛ فإنك تجده فيه الآتي:

١. أعلى درجات الأخلاق الحسنة، يقول الكتاني "التصوف خُلق فمن زاد عليك في الخُلق فقد زاد عليك في الصفاء".

٢. الاعتماد الكامل على الله واليأس من الخلائق، ولذلك قال معروف الكرخي: " التصوف هو الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق، فمن لم يتحقق بالفقر لم يتحقق بالتصوف" ، والفقر هنا هو الافتقار إلى الحق، وخلو قلبه من التعلق بالدنيا الزائلة.

٣. التفكّر والتأمّل الدائم في عظيم القدرة الإلهية، يقول الجنيد رحمه الله: "التصوف هو أن تكون مع الله بلا علاقة" ، ويقول رويم: "التصوف استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريد"، ويقول سهل بن عبدالله: " الصوفي من صفا من الكدر وامتلأ من الفكر وانقطع إلى الله من البشر، واستوى عنده الذهب والمدر"

٤. التمسك بالحق وعدم الرضا بالباطل، ولذلك كان أئمة التصوف لا يخافون في الله لومة لائم، فيصدعون بالحق أمام الظلمة والجائرون، لأنهم كما قاب ذو النون المصري "آثروا الله على كل شيء فآثرهم الله على كل شيء".

٥. العلم والمعرفة، يقول القشيري عن الجنيد: " من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الأمر"، ولهذا كان أفذاذ العلماء من الصوفية كالحسن البصري، والإمام الغزالي، وذو النون المصري ، والحارث المحاسبي وغيرهم كُثر.

إذا علمت هذا ؛ علمت أن قوام المنهج الصوفي مبني على القواعد العامة للإسلام، وأنه مستمد من الكتاب والسنة ومكارم الأخلاق، ولا شك أن الدعوة النبوية حثت على ذلك عندما جاءت بالإحسان " أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك".

طريقة كهذه، ومنهج كهذا، ألا يحمل السعادة والود والاحترام للمجتمع والناس؟

فعندما يكون الخالق هو المصدر الوحيد للخشية في هذه الحياة، تتلاشى سبل الرهبة من دفع الظلم والفساد، ويحل العدل والوئام.

عندما يكون هناك مجتمع يعمل أفراده على تصفية القلوب وتهذيب النفوس والتحلي بمكارم الأخلاق.. ألا يخلق هذا حياة صافية كريمة نابعة من الأدب المؤمن العالي؟

عندما يعلم المرء أن الله رقيب عليه في كل حال؛ علمًا يقينيًا، فإنه حتمًا سيخشى عصيانه وهو العبد الذي يُحسن إليه سيده دومًا! ، وهذا ما جعل الشيخ عبد القادر الكيلاني يقول: "اسمع لي يا بني: إن المأكل الحرام يُميت القلبَ، فثمةَ لقمة تنير القلب وأخرى تجعله مظلما، كما أن هناك لقمة تجعلك متعلقا مشغولا بالدنيا، وأخرى تشغلك بالآخرة، وهناك لقمة تجعلك زاهدا في الدارين ولقمة تجعلك مُقبلا على خالق الدنيا والآخرة، فالمأكل الحرام يشغلك بالدنيا ويحبب إليك المعاصي، وأما المأكل الحلال فيقرب قلبك من المولى عز وجل".

نعم؛ إن جميع الناس لا يمكن أن يكونوا متصوفين لأن الطبيعة البشرية تأبى ذلك، لكن يمكنهم أن يسيروا نحو صرح الفطرة ما أمكنهم ذلك. كذلك الجانب الروحي الذي له تأثير فعَّال في تقويم المنحرفين والضالين، هذا الجانب هو الأسمى في المنهج الصوفي.. ولذلك عدَّ البعض التصوف من مميزات أهل السنة والجماعة.

هذه الميزات المتعددة جعلت من إمام كبير من أئمة أهل السنة والجماعة كفخر الدين الرازي ينقم على مؤرخي العقائد في عدم

اعتبارهم للصوفية كفرقة من الفرق الإسلامية.. حتى إن الرازي قد قسم الصوفية إلى ست فرق فرعية؛ أعدلهم في نظره "أصحاب الحقيقة" كما سماهم، وهم الذين إذا فرغوا من الفريضة لم يشتغلوا بالنوافل الخاصة بالعبادات؛ بل بالفكر وذكر الله.

وأشر صنف عنده ألئك الذين ينادون برفع التكاليف الشرعية من على عاتقهم..

نعم؛ هنالك أفعال وأقوال ظاهرها الشطح والهذيان من بعض المتصوفة، لكن المعرفة الحقيقية لدرب هؤلاء السالكين هي التي تُفهم غيرهم معنى أقوالهم وأفعالهم، وكما يقول الحلاج: "من لم يقف على إشارتنا، لم ترشده عبارتنا"

فلكي نحكم عليهم علينا بالمعرفة الكاملة بحالهم ومقاصدهم التي يسيرون عليها؛ ليكون حكمنا خاليًا من الهوى والبهتان، ولأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره؛ يجب علينا عدم اصدار الأحكام جزافًا بدون تروي وتحقق.

ولأن التصوف طريقة منتهجة مبادئ الإسلام العليّة؛ فإنه يأخذ بأيدي الإنسان إلى بر الأمان والاعتصام بالله الذي يُعطي توفيقه ومعيّته لأحبابه، وهنا قصة حكاها الغزالي في الإحياء عن شاب صالح كان حسن السمت والمظهر ، نظرت إليه امرأة ذات جمال وعقل فشغفت به، وطال عليها ذلك، فلما كان ذات يوم وقفت له على الطريق وهو يريد المسجد فقالت له: يا فتى، اسمع مني كلمات أكلمك بها ثم اعمل ما شئت، فمضى ولم يكلمها، ثم وقفت له بعد ذلك على طريقه وهو يريد منزله، فقالت له: يا فتى، اسمع مني كلمات أكلمك بها، فأطرق مليًا وقال لها: هذا موقف تهمة، وأنا أكره أن أكون للتهمة موضعًا. فقالت له: والله ما وقفت موقفي هذا جهالة مني بأمرك. ولكن معاذ الله

أن يتشوف العباد إلى مثل هذا مني، والذي حملني على أن لقيتك في هذا الأمر بنفسي معرفتي أن القليل من هذا عند الناس كثير، وأنتم معاشر العباد على مثال القوارير أدنى شيء يعيبها، وجملة ما أقول لك أن جوارحي كلها مشغولة بك، فالله الله في أمري وأمرك..

ثم مضى الشاب إلى بيته فأراد الصلاة ولكنه لم يعقلها؛ فأخذ قرطاسًا وكتب كتابًا ثم خرج من منزله، وإذا بالمرأة واقفة في موضعها فألقى إليها الكتاب، ورجع إلى منزله. وكان في الكتاب: "اعلمي أيتها المرأة أن الله عز وجل إذا عصاه العبد حلم، فإذا عاد إلى المعصية مرة أخرى ستره، فإذا لبس لها ملابسها غضب الله تعالى لنفسه غضبة تضيق منها السموات والأرض والجبال والشجر والدواب، فمن ذا يطيق غضبه؟ فإن كان ما ذكرت باطلًا فإني أذكرك يومًا تكون فيه السماء كالمهل، والجبال كالعهن، وبحثوا الأمم لصولة الجبار العظيم، وإني والله قد ضعفت عن إصلاح نفسي، فكيف إصلاح غيري، وإن كان ما ذكرت حقًا فإني أدلك على طبيب هدى يداوي الكلوم الممرضة، والأوجاع المرمضة، ذلك الله رب العالمين، فاقصديه بصدق المسألة فإني مشغول عنك بقوله تعالى: وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ * يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ فأين المهرب من هذه الآية؟

ثم إنها جاءت بعد ذلك بأيام فوقفت له على الطريق، فلما رآها من بعيد أراد الرجوع لمنزله كيلا يراها فقالت: يا فتى، لا ترجع، فلا كان الملتقى بعد هذا اليوم أبدًا إلا غدًا بين يدي الله تعالى، ثم بكت بكاء شديدًا وقالت: أسأل الله الذي بيده مفاتيح قلبك أن يسهل ما قد عسر من أمرك!

ثم إنها تبعته وقالت: امنن علي بموعظة أحملها عنك.

فقال: أوصيك بحفظ نفسك من نفسك، واذكري قوله تعالى: وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ.

فأطرقت وبكت بكاء أشد من بكائها الأول، ثم أفاقت ولزمت بيتها وأخذت في العبادة، ولم تزل على ذلك حتى ماتت كمدًا".

كيف وصل هذا الشاب لهذه المرحلة من الصلاح وتقوى الله؟!

إنه المنهج الذي يصفي النفس ويقيها من براثن الجهالة والانحراف.. هذا المنهج المتمثل في الإسلام؛ والذي يسعى التصوف لتثبيت قواعده في نفوس العباد بالمجاهدة والرياضة.

{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَالَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ المُحْسِنِينَ} [العنكبوت:٦٩]

{وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوَى} [النَّازعات:٤٠-٤١]

التعلق الروحي بالقدس الشريف

"من أراد أن ينظر إلى بقعة من بقع الجنة فلينظر إلى بيت المقدس"

هكذا تحدث رسول اللَّه -صلى اللَّه عليه وسلم عن بيت المقدس وقدسنا الشريف، ففي حديثه بيان لفضله ومنزلته ليس عند المسلمين فقط وإنما له منزلة عند الله عز وجل.

وعن رسول اللَّه -صلى اللَّه عليه وسلم- أنه قال: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا..".

فقد جعل صلى الله عليه وسلم شد الرحال إلى ثلاثة مساجد من بينهم المسجد الأقصى.

لقد فهم أنس بن مالك -رضي اللَّه عنه هذا الفضل وهذه المنزلة للقدس وبيت المقدس فقال: إن الجنة لتحن شوقًا إلى بيت المقدس، وبيت المقدس من جنة الفردوس، والفردوس الأعلى هو ههنا ربوة في الجنة، هي أواسط الجنة وأعلاها وأفضلها.

وروى أبو داود بسنده على أم سلمة -رضي اللَّه عنها- أنها سمعت رسول اللَّه -صلى اللَّه عليه وسلم-: يقول: "من أهل من بيت المقدس بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ووجبت له الجنة".

وفيِ حديث آخر (من أحرم من بيت المقدس غفر "اللَّه" له) (وقد أحرم "منه") عمر بن الخطاب -رضي اللَّه عنه- بعمرة ثم قال: لوددت أني جئت بيت المقدس.

وقال رسول اللَّه -صلى اللَّه عليه وسلم- "من أسرج في بيت المقدس سراجا لم تزل الملائكة تسغفر له مادام ضوؤه في المسجد".

انظر إلى هذه القيمة للقدس والأقصى في الإسلام وعند المسلمين!
لقد خصها الله تعالى بالبركة بقوله (ونجيناه ولوطاً الى الارض التي باركنا فيها للعالمين) الانبياء ٧١.

ولقد نص القران الكريم صراحة على فضيلة الأرض المقدسة في قوله تعإلى (واذ قال موسى لقومه يا قوم.. اذكروا نعمة الله.. ياقوم ادخلوا الارض المقدسة) المائدة ٢١.

بل إنك لتعجب أشد العجب من قوة حب المسلمين لهذه البقعة المقدسة، وتعلقهم بها كتعلق الروح بالجسد.. لقد أزال المسلمون كل أنواع الحدود بينهم وبين القدس، فهل سيصعب عليهم إزالة محتل مغتصب وعدو ظالم؟!

اسمع قول مقاتل: وتاب اللَّه على داود وسليمان -عليهما السلام- في أرض بيت المقدس ورد اللَّه على سليمان ملكه في بيت المقدس، وبشر اللَّه زكريا بيحيى في بيت المقدس، وتسورت الملائكة على داود المحراب ببيت المقدس، وسخر اللَّه لداود الجبال والطير ببيت المقدس، وكانت الأنبياء -صلوات اللَّه وسلامه عليهم- يقربون القرابين ببيت المقدس، وتهبط الملائكة -عليهم السلام- كل ليلة ببيت المقدس، وأوتيت مريم -عليها السلام- فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء ببيت المقدس، وأنبت "اللَّه تعالى" النخلة لها ببيت المقدس، وولد عيسى -عليه السلام- ببيت المقدس، ورفعه اللَّه تعالى إلى السماء من بيت المقدس، وأنزلت عليه "المائدة" في أرض بيت المقدس، ويغلب يأجوج ومأجوج على الأرض كلها غير بيت المقدس، ويهلكهم اللَّه "تعالى" في أرض بيت المقدس وينظر اللَّه تعالى في كل يوم بخير إلى بيت المقدس، وأعطى اللَّه "تعالى البراق للنبي -صلى اللَّه عليه وسلم- فحمله إلى بيت المقدس، وأوصى إبراهيم وإسحاق -عليهما

السلام- لما ماتا أن يدفنا في أرض بيت المقدس، وأوصى آدم -عليه السلام- لما مات بأرض الهند أن يدفن في بيت المقدس، وماتت مريم -عليها السلام- ببيت المقدس، وهاجر إبراهيم -عليه السلام- من كوثا إلى بيت المقدس وتكون الهجرة في آخر الزمان إلى بيت المقدس، ورفع التابوت والسكينة من أرض بيت المقدس، وصلى النبي -صلى اللَّه عليه وسلم- زمانًا إلى بيت المقدس ورأى النبي -صلى اللَّه عليه وسلم- مالكا خازن النار ليلة أسري به ببيت المقدس، وركب النبي -صلى اللَّه عليه وسلم- البراق إلى بيت المقدس وهبط به من السماء إلى بيت المقدس، وأسري به -صلى اللَّه عليه وسلم- إلى بيت المقدس، والمحشر والمنشر إلى بيت المقدس، ويأتي اللَّه في ظلل من الغمام والملائكة إلى بيت المقدس وينصب الصراط على جهنم إلى الجنة "بأرض" بيت المقدس، وتوضع الموازين يوم القيامة ببيت المقدس، وصفوف الملائكة يوم القيامة ببيت المقدس وينفخ إسرافيل "يوم القيامة" في الصور ببيت المقدس، ينادي: أيتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والعروق المتقطعة، اخرجوا إلى حسابكم "وتنفخ" "فيه" أرواحكم وتجازون "على أعمالكم". ويتفرق الناس من بيت المقدس إلى الجنة والنار، فذلك قوله تعالى: {يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ} [الروم: ١٤]

"الناس" ويومئذ يعرضون فريق إلى الجنة وفريق إلى السعير" كل ذلك ببيت المقدس.

فكيف لا ترفرف أرواح المسلمين إليه شوقً وحنينًا ؟!

لقد امتزج هذا التعلق بالقدس في أرواح المسلمين منذ الأزل وسيبقى إلى الأبد.. وما يسير المسلمون في هذه الحياة إلا وقول الله نصب أعينهم: {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ}.

المصادر:

إتحاف الأخِصّا بفَضَائل المسجد الأقصى، شمس الدين محمد بن أحمد بن علي بن عبد الخالق، المنهاجي الأسيوطي ثم القاهري الشافعي (المتوفى: ٨٨٠ هـ) .

الحُبُ أعظم موجود!

قال قوم إن المحبة إثم! فيا ** ويح بعض النفوس ما أغباها
إن نفسًا لم يشرق الحب فيها ** هي نفسٌ لم تدر ما معناها
أنــا بالحب قد وصلت إلى ** نفسي وبالحب قد عرفت الله

كثيرًا ما فُهِمَ "الحب" خطئًا بين شبابنا وفتياتنا، والحق أن هذا الفهم الخاطئ لا يمثل حجة على دين الله القويم ولا على سنة رسول الله العظيم!

إن الأخبار قد تواترت بالحب والمحبة؛ فما قام الدين إلا به، وما سارت البشرية إلا والحب هاديهم ومرشدهم.
ولكن هل يُفهم من هذا الحب ما ذهب إليه عامة الناس في حاضرنا المتسمِ بالحداثة والرفاهية والتقدم؟!

إن عظيم جمال الحب وكمال روحه التواقة إلى الخيرات والسعادة والأُلفة بين المُحبين لا تُنال إلا بمقاييس مختلفة عن مقاييس الشهوة والغريزة، وليس حبًا بالمنظور الذي عبّر عنه الدكتور على الوردي

حين قال: "ما الحُب إلا شبكة يتصيد بها صاحبها ما يشتهي كشبكة العنكبوت"!

وقد لام الشيخ سيد قطب رحمه الله على هذا الصنف السيئ من الناس؛ الذين يجعلون من صفاء الحب الطاهر سبيلًا إلى نزوات الطفولة والمراهقة؛ حتى وجدناه ينشد قائلًا:

إن ذكرتُ الحب قدسيًا نقيًا ** حسبوه من خيال الشعراء!
إنني أُدركه روحًا خفيًا ** يهبط الأرض ومأواه السماء
وهم يبغونه إثمًا فريًا ** يُرتدى في أثواب البغاء!

فها هو الحب النقي، هذا الحب الذي يأخذ بأيدي صاحبه إلى كمال وجوده الإنساني بامتزاج الروح مع محبوبها في عالم المثل العليا ثم يهبط في عالم الواقع الأرضي متجسدًا بكل مُرادته من غاية الإنسان في هذا الكيان الوجودي الكبير!

ولهذا كان ابن حزم الظاهري _رحمه الله_ ممن كتبوا في الحب وفضله، ورسالته في طوق الحمامة لتجلي معاني اهتمامه ويقظة فكرته وأبعاد عمقه في نظرته لهذا الأمر الجلل؛ أنظر ماذا يقول:

" الحب -أعزك الله- أوله هزل وآخره جد. دقت معانيه لجلالتها عن أن توصف، فلا تدرك حقيقتها إلا بالمعاناة. وليس بمنكر في الديانة ولا بمحظور في الشريعة؛ إذ القلوب بيد الله عز وجل. وقد أحب من الخلفاء المهديين والأئمة الراشدين كثير".

فما لهذا الإنسان الضعيف ينحرف عن سمو المعنى وعلو المقام لهبط إلى دركات الانحطاط والنذالة!

إن طريق الحب البريء واضح السمات والمعالم؛ تستحسنه العقول النقيّة، ولا تستقبحه القلوب التقيّة، وتهفو إلى وصاله كل روح زكية.
هذا الحب السامي هو طريق المعرفة الإلهية اليقينية، ألم تسمع قول الله عز وجل: "***يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ***" ؟!
فإذا كان الواهب للوجود مُحبًا؛ فكيف بالموهوب النسبي في هذا الوجود لا يسمو إلى حب الله وحب عباد الله!

أولم نُدرك هذه الحقيقة التي جاءت في قواعد العشق الأربعين:

"إن الطريقة التي نرى فيها الله ما هي إلا انعكاس للطريقة التي نرى فيها أنفسنا فإذا لم يكن الله يجلب إلى عقولنا إلا الخوف والملامة، فهذا يعني أن قدرًا كبيرًا من الخوف والملامة قد تدفق في نفوسنا، أما إذا رأينا الله مفعمًا بالمحبة والرحمة، فإننا نكون كذلك".

ألم نفكر يومًا: لماذا أرسل الله إلينا الرسل وأنزل الكتب وجعل لنا العقل المميز لنا عن باقي الأجناس؟
ألم نتساءل: لماذا خلقنا وجئنا إلى هذه الحياة؟

إنه الحُب يا سادة!
الحُبُ الذي أخرجنا من العدم المظلم إلى النور الساطع، وأعد لنا في الباقيات دار الخلود والمفاخر.

هذا في جانب الحب الإلهي المُعظَّم. وعلى درب الطهارة والنقاء يسير الإنسان في هذه الحياة حتى يقع في الحب الدُنيوي الذي إن حسنت بدايته عظمت نهايته ، و"كثيرًا ما يكون لصوق الحب بالقلب من نظرة

واحدة. وهو ينقسم قسمين، فالقسم الواحد مخالف للذي قبل هذا، وهو أن يعشق المرء صورة لا يعلم من هي ولا يدري لها اسما ولا مستقراً، وقد عرض هذا لغير واحد "كما فهم ابن حزم، وهذا الدرب ليس بمعيب إن شملته المحاسن العاطفيّة السليمة، وبعدت عنه مآثم النفس الدفينة!

وخطأ على من يُعبَّر له بجميل الحب الخالص أن يرصد محبوبه بالفهم السقيم الذي ما كان من أفهام العقلاء أو شهداء الوجد الصافي، وفي هذا يلوم الأستاذ سيد قطب _رحمه الله_ هذا النوع قائلًا:

أرخصتَ حبّي إذ بثثتك بعضَهُ ** فليبق مكبوحاً إذَنْ فتَكَتَّما
إن كان بثُّ الحبِّ عندكَ مأثمًا ** فكذاك عندي سوف يغدو مأثما !

ختامًا، ينبغي عليك أيها العابر في هذه الحياة أن تسعى لهذا الحبِ المُعين لك في طريق حياتك، فهو زادك وزوادك، ونقي الفؤاد من الأدران واشغله بجميل الأفكار، فكما أنت من عظيم آلاء الله المُحببة عند العباد؛ كذا لا يليق بك أن تدنس روحك التي هي قبس من جميل روح الله

فـ صُن النفس عما عابها وارفض الهوى ** فإن الهوى مفتاح باب المهالك

رأيت الهوى سهل المبادي لذيذها ** وعقباه مُر الطعم ضنك المسالك

فما لذة الإنسان والموت بعدها ** ولو عاش ضعفي عمر نوح بن لامك

فلا تتبع دارًا قليلًا لباثُها ** فقد أنذرتنا بالفناء المواشك

الصفات الخبريَّـة .. هدم أم بنـاء؟

يُــعرّف العلماء "الصفات الخبريَّـة" بأنها هي الصفات التي يوحي ظاهرها مشابهة الخالق بالمخلوق. وهذه الصفات تعتبر كمالاً في المخلوق من ناحية كونه مخلوق كامل الأركان والوجاهة ، لكنها مستحيلة في حق الخالق "واجب الوجود" ؛ لما يترتب عليها من تجسيم وحدوث وتغير ، وهذه لا تصلح لأن تكون صفاتاً لواجد هذا الوجود العظيم .

وصفاته -سبحانه- لسيت كصفات خلقه ، فوجوده مغاير لوجودنا المحسوس .

قال تعالى عن نفسه في كتابه العزيز: "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ".

الكاف في قوله:(كَـ مِثْلِهِ) للتشبيه ، و(مثل) للتشبيه والمماثلة أيضاً. ففي الآية أداتي تشبيه. والمعنى: ليس كمثله شيء ولو من وجه بعيد. فما أعظم تنزيه القرآن للذات العلية.

وقال تعالى: "رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا".

ومعنى سميًّا: أي مثيلًا أو شبيهًا. وقال: "وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ". أي ليس له كفء ولا مثل.

فكل ما تصورت ببالك فالله بخلافه.

أما ما جاء في القرآن من نصوص يوحي ظاهرها التجسيم والتشبيه لله سبحانه وتعالى بخلقه مثل:

١ ـ الوجه: { فاينما تولوا فثم وجه الله }
٢ ـ العين: { واصنع الفلك باعيننا ووحينا }
٣ ـ اليد: { يد الله فوق أيديهم {
٤ـ اليمين: { والسماوات مطويات بيمينه }
٥ ـ القبضة: { والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة } ٦ـ الساق: { يوم يكشف عن ساق }
٧ ـ الجنب: { أن تقول نفس يا حسرتى على ما فطرت في جنب الله{
٨ ـ النفس: { تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك }
٩ ـ الروح: { ونفخت فيه من روحي }
١٠ ـ المجيء: { وجاء ربك }
١١ ـ العرش: { الرحمن على العرش استوى }
١٢ ـ الكرسي: { وسع كرسيه السماوات والأرض }
١٣ ـ اللقاء: { إنّهم ملاقوا ربّهم }
١٤ ـ القرب: { فإني قريب أجيب دعوة الداع }
١٥ ـ الرضا والغضب: { رضى الله عنهم } ، { غضب الله عليهم }
١٦ ـ السخرية والاستهزاء والمكر والخداع: { سخر الله منهم } ، { الله يستهزىء بهم } ، { ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ، { يخادعون الله وهو خادعهم }
١٧ ـ النسيان: { نسوا الله فنسيهم }
١٨ ـ النور: { الله نور السماوات والأرض }

هذه النصوص من المجازات التي يراد خلافها بدليل قوله تعالى: "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ"
"وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ" .

فالله عز وجل نفى عن نفسه المشابهة بخلقه، والنصوص قد توهم المشابهة لذلك كانت على سبيل المجاز وليست على سبيل الحقيقة.

والله عز وجل هو من نفى عن نفسه ظواهر هذه النصوص المتعلقة بالجسمية والمشابهة ؛إذ أنه _سبحانه_ ليس بجسم ولا يشبه أحد، ففي الحديث: (إن الله تعالى يقول يوم القيامة: يا بن آدم مرضت فلم تعدني . قال: يا رب، كيف أعودك وأنت رب العالمين؟

قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟

يا بن آدم استطعمتك فلم تطعمني. فقال: يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟

يا بن آدم، استسقيتك فلم تسقني. قال: يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه؟ أما إنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي).

فـالله_عزوجل_ ينفي عن نفسه ما اثبته ويبين أنه يريد خلافه، وهذا ليس غريب في اللغة العربية (لغة القرآن).

فـــمثلاً "اليد" في العربية تطلق على الجارحة التي هي عضو في جسم، وتطلق على النعمة ومن هذا قول المتنبي:
لَهُ أيَادٍ إليّ سَابِقَةٌ أعُدّ مِنْهَا وَلا أُعَدّدُهَا

وتطلق على القوة أو القدرة .

والله في قوله: { يد الله فوق أيديهم } نفى عن نفسه الجارحة بقوله : " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ". وقوله: "قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد".
فالله عز وجل نفى عن نفسه ذلك . وما بقي إلا القوة او القدرة ، فاليد مجاز عن القوة. وقس على ذلك باقي هذه النصوص .

ومما يؤكد على ان هذه النصوص مجازية .. أنها لم ترد مسوقة في السياق لذاتها وإنما سيقت للدلالة على شيء اخر ، ففي قوله تعالى: "تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ". إخبار من الله تعالى على ان له الملكية التامة والقوة الكاملة .

وفي قوله تعالى مخبرا عن اخوة يوسف قولهم : "وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ". مجاز، أي: اسأل أهل القرية وأصحاب العير .

وفي قوله تعالى : "وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ". هذا القرب قرب مكانة لا مكان ، وقيل القرب قرب بالإجابة ، وقيل بالعلم ، وقيل : قريب من أوليائي بالإفضال والإنعام .

إن العقل السويّ يدرك ببداهة بُـعد الفهم المائل إلى التفسيرات المادية لوجود ليس بمادة ، ولا تنطبق عليه قواعد وقوانين التجربة .

ان المسلم مخير بين ان يُسلم بتلك بالصفات الخبرية، ويمرها كما جاءت، دون أن يعتقد حقيقة مدلولاتها اللغوية، التي يتنزه البارئ تعالى عنها كما هو مذهب السلف الصالح، وهذا ما يسمي بالتفويض. وهذا استجابة لحديث رسول الله : "تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللَّهِ ، وَلَا تَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ فَتَهْلِكُوا". فالعقل قاصر عن ان يدرك اللا محسوس إدراكًا ذاتيًا. لذلك كان النهي عن الخوض في الذات والدعوة للتأمل في خلق الله.

أو يؤولها تأويلًا تفصيليا يصرفها عن ظواهرها المستحيلة، على نحو تقبله اللغة، ويشهد له الشرع، وهذا مذهب الخلف.. محاولين الفهم الصحيح كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين" . فلا يقف عند ظواهر النصوص وانما يفقه ويفهم النص ليصل للمطلوب.

ولو قال قائل: ان هذه صفات المعدوم، ولا يمكن تصور موجود ليس بجسم ..

قلنا: هذا قياس للغائب على الشاهد ، وهو فاسد، لأن الله ليس من نوعية البشر حتى نطبق عليه معاييرهم. وكيف يقاس من تجرد عن المادة بما هو مادي ؟!

ثم ان الله نفى عن نفسه الجسمية فقال: ": ليس كمثله شيء"
فكل شيء سوى الله تعالى فالله مخالف له.

و علمنا بالمشاهدة أن كل شيء سوى الله هو جسم ، أو عرض قائم بجسم ، فالله ليس كذلك .

فالجسم هو بالحد : المركب من جوهرين فأكثر.
و بالرسم: هو ما له طول، و عرض ،و عمق ،و يأخذ حيزا من الفراغ لا يشاركه فيه غيره إن كان كثيفا و يشاركه فيه غيره إن كان غير كثيف.

وهل يتصور كون موجود بدون جسم؟
تصور موجود ليس بجسم أمر بسيط يحصل بالتفريق بين الوجود و بين الجسمية. فبينهما خصوص و عموم، فكل جسم موجود و ليس كل موجود جسم، لأن الوجود يعم الأجسام و الأعراض و غير الأجسام و الأعراض .

فعقلك يتصور وجود الحمرة أو الزرقة و غيرها من الألوان والحمرة كمفهوم ليست جسم بل هي عرض يقوم بجسم.

هذه قضية من القضايا التي شغلت كثير من علماء الأمة شغلًا جعلهم يُــهملون وظيفتهم القائمة على التوعية والإصلاح في واقع الناس .. حتى أصبحت بلاد المسلمين خرابًا لا تجد من يحنو عليها بنور الإصلاح والتعمير !

لقد أخذت هذه القضايا مجالًا عظيمًا مشوب بالنزاع والإقصاء ، بينما هي أمور متفق على مقاصدها من كل فريق !

فالتنزيه غاية ومقصد كل فريق ، لكن متعصبي كل فريق جعلوا الامر صعبًا عسيرًا، وحولوا الغاية التي تدعوا للحب والأُلفة بين المسلمين إلى نزاع طويل وجدال فقير يسير خلف الانتصار للأراء الشخصية.

فهل تحتاج الأمة مثل هذا التفكير.. لا سيما في عصرنا الحاضر ؟

ان اهمال الاعمال النافعة للناس حلّ ببلادنا ، حتى أصبح العمل الصالح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمرًاغريبًا يتعجب منه أبناء الوطن الواحد !

ان العلم الذي يأخذ صورة النزاع مبتعدًا عن المقاصد العليا التي رسخها الإسلام لهو عبث وضياع ، والأمة ليست لها حاجة لـعلم كهذا يُفتتها ويُفقرها . إنما العلم النافع للناس ما كان سببًا في أُلفتهم واتحادهم، قَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: (أَنا زَعِيمٌ ببَيتٍ في ربَضِ الجنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَببيتٍ في وَسَطِ الجنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ وإِن كَانَ مازِحًا، وَببيتٍ في أعلَى الجَنَّةِ لِمَن حَسُنَ خُلُقُهُ).

وقَالَ: (إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُم إِليَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجلسًا يَومَ القِيَامَةِ: أَحَاسِنَكُم أَخلاقًا، وإِنَّ أَبْغَضَكُم إِليَّ وَأَبْعَدَكُم مِنِّي يومَ الْقِيامةِ: الثَّرْثَارُونَ، والمُتَشَدِّقُونَ، وَالمُتَفَيْهِقُونَ) .

فمتى سينهض الفكر من عثرته ويأخذ بيد الأمة نحو الرُقيّ والإزدهار ؟
متى سنبصرُ لهو الحياة الذي هيمن على أفراد المجتمعات المسلمة عمومًا ، وأهل العلم خصوصًا ؟!

المصادر:

١_ تنزيه الحق المعبود عن الحيز والحدود.
٢_ غاية البيان في تنزيه الله عن الجهة والمكان .
٣_ القول التمام بإثبات التفويض مذهبًا للسلف الكرام.

غفران الذنوب بين المسيحية والإسلام

لا نقارن بين دينين (الإسلام والمسيحية) فمصدرهما واحد وهو "الله" عز وجل ، وإنما نبيّن ما أدخلته الكنيسة ورجالها على دين الله العظيم ؛ دين سيدنا المسيح الرسول (المُعظّم) الذي دعا الناس من خلاله إلى الله الواحد.

ولما فسدت القلوب وتزعزع الإيمان رأيت الذي رأيت من تهافت الآراء المنسوبة إلى الدين باسم الله!

فما هو الغفران ؟

في المسيحية، أو بالأحرى في الكنيسة، قد عرف الغفران للذنوب باسم آخر غير المتعارف عليه بين المؤمنون، حتى غدا في عقيدة الكنيسة "سر" من أسرارها التي لا يمكن للعقل أن يدرك حقيقته أو يفهم مخزاه!

هذا السر الذي هو أحد أسرار الكنيسة السبعة، يعرف بـ (الغفران أو التوبة أو الاعتراف) ، ويأتي المُذنب من أتباع الكنيسة إلى القس الذي يكون بيده تطهير العاصي من خطاياه، وهذا القس يعتبر نفسه وكيلًا عن الله في توزيع الجنة والنار فإذا جاء المذنب واعترف أمام القس

بذنوبه واشترى منه الغفران، والغفران عبارة عن "صك" يصدر عن الله عز وجل في زعمهم ولكنه بيد القس، يُعطيه المذنب مقابل مبلغ من المال.. وبالتالي فقد حصل المذنب على المغفرة وكذلك قد حصل على موضع في الجنة!

لكن هل هذه تعاليم دين الله عز وجل؟ هل هي تعاليم المسيح فعلًا لأتباعه ؟

إن المسيح نفسه عندما قال لأحدهم: "ثِقْ يَا بُنَيَّ. مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ". (متى ٢/٩(، لم يكن يقصد أنه أساس الشفاء، المسيح عليه السلام قال هذا بعدما رأى إيمانه، فإيمانه هو من غفر له كـما هو الحال مع المرأة التي قال لها المسيح في متى ٢٢/٩: ثِقِي يَا ابْنَةُ، إِيمَانُكِ قَدْ شَفَاكِ.

فكل من يؤمن بالرسول ومن أرسله يُغفر له خطاياه؛ فهذا وعد الله لمن آمن وصدّق.

ثم إن شفاء المرأة من المعجزات التي أيده الله بها، والمسيح لا يستطيعها وحده كما قال: أَنَا لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ مِنْ نَفْسِي شَيْئًا. كَمَا أَسْمَعُ أَدِينُ، وَدَيْنُونَتِي عَادِلَةٌ، لأَنِّي لاَ أَطْلُبُ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي. إِنْ كُنْتُ أَشْهَدُ لِنَفْسِي فَشَهَادَتِي لَيْسَتْ حَقًّا. (يوحنا ٣٠/٥(.

فكيف يترفع سيدنا المسيح عن هذه الخصوصية الإلهية، ولا يترفع أتباعه من القساوسة ؟!

في الإسلام:

يكون الغفران بيد الله عز وجل وحده، والمغفرة تحتاج إلى توبة صادقة فقط بين العبد وربه، وهذه التوبة لها شروط لتكون مقبولة عند الله.. وهذه الشروط هي:

- الإخلاص لله تعالى "وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ"

- الاقلاع عن المعصية "كل ابن آدم خطاء، وخير الخطَّائين التوّابون "

- الاعتراف بالذنب والندم عليه، وقد أشار النبي إلى هذا بقوله "الندم توبة"

- رد المظالم إلى أهلها "مَنْ كَانتْ عِنْدَه مَظْلَمَةٌ لأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ مِنْ شَيْءٍ فَلْيتَحَلَّلْه مِنْه الْيَوْمَ قَبْلَ أَلَّا يكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمتِهِ، وإنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سيِّئَاتِ صاحِبِهِ، فَحُمِلَ عَلَيْهِ"

- وقوع التوبة قبل الغرغرة " إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر"

وتجمع هذه الشروط الآية الكريمة "وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ"

فانظر إلى اتفاق هذه التعاليم الدينية الواحدة، ألا يدل هذا الاتفاق على وحدة المصدر والمشرع؟

إن هذا بالأحرى لهو التفسير السليم لهذه المسألة، فبين كل رسول وآخر مئات السنين، وكلهم يبشر بالآخر، وتعاليمهم واحدة في أصولها ومجملها..

فلسفة الغناء

الله عز وجل قد خلق الإنسان بصبغة الشعور والإحساس؛ فهو يميل بطبيعته إلى المستلذات ، ولما كانت هذه طبيعته قد أحكم الله عز وجل الأمور وضبطها بمعاييره العادلة التي لا تؤثر على الإنسان تأثيرًا يُذهب بعفته وكرامته.

كان من بين ما يستلذ به الإنسان "الغناء والموسيقى" ، فما حكمهما في نظر الشريعة والعلماء؟ وكيف ضبطا بميزان الإسلام؟

((الغناء: كلام.. ولحن.. وأداء..))

من يُحرمون

ذهب البعض إلى أن الغناء والموسيقى حرام، ولذلك لعدة أمور:

- مجيء القرآن بالتحريم حين قال في سورة لقمان: "وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّـهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُولَـٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ".

  وفسروا "لهو الحديث" بأنه الغناء والموسيقى.

- جاء في القرآن: "وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ

مَرُّوا كِرَامًا"

وفسروا "الزور" بالغناء.

- ما جاء في السنة منسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم: " لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ ، يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ وَالحَرِيرَ ، وَالخَمْرَ وَالمَعَازِفَ ".

وقالوا أن المعازف حرام بنص الحديث.

هذا ما ذهب إليه المحرمون للغناء والموسيقى ، وعلى هذه الأدلّة أقاموا الحكم بالحرمة وحظر السماع . لكن هناك من يرى خلاف هذا الرأي من العلماء أيضًا؛ فقد ذهب للإباحة كثير من العلماء وكان القرآن والسنة حجتهم في مذهبهم .

من يُبيحون

اتجه هذا الفريق إلى أن الغناء مُباح لا دليل قطعي على تحريمه وحظره، وكانت أدلتهم على موقفهم هذا هي:

- أن الأصل في الأشياء الإباحة ما لم يرد دليل على التحريم والحظر.

- أن النبي جاء يحل لنا الطيبات ويحرم علينا الخبائث والمنكرات "وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ"

والطيبات هي المستلذات المباحة كما قاله الشوكاني عن ابن عبد السلام في نيل الأوطار.

- عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: دخل أبو بكرٍ وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنِّيان بما تقاوَلَت الأنصارُ يوم بُعاث، قالت: وليستا بمغنِّيَتَين، فقال أبو بكر: أمزاميرُ الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! وذلك في يوم عيدٍ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا أبا بكرٍ، إنَّ لكلِّ قوم عيدًا، وهذا عيدُنا".

المعنى الإجمالي للحديث:

في يوم عيدٍ للمسلمين دخلَ أبو بكر الصديقُ على ابنته عائشة رضي الله عنهما، فوجد عندها جاريتين منَ الأنصار صغيرتَين في السِّنِّ، تنشدان بعضَ الأشعار عن يوم بُعاث، وهو يوم مشهورٌ من أيام العرب كانت فيه مقتَلة عظيمة للأوس على الخزرج، وتصِفان ما كان فيه من الحرب والشجاعة.

فأنكَر الصديقُ رضي الله عنه على الجاريتين ذلك؛ وقال: أمزامير الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! فرخَّص النبي صلى الله عليه وسلم في فعل الجاريتين؛ معلِّلًا ذلك بقوله: "يا أبا بكر، إن لكل قوم عيدًا، وهذا عيدنا".

- عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: "أنَّها زَفَّتِ امْرَأَةً إلى رَجُلٍ مِنَ الأنْصارِ، فقالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: يا عائِشَةُ، ما كانَ معكُمْ لَهْوٌ؟ فإنَّ الأنْصارَ يُعْجِبُهُمُ اللَّهْوُ".

الرد على أدلة المانعين

- الرد على الدليل الأول: "وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّـهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُولَـٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ".

رد المجوزين للغناء على هذا الدليل بأن "لهو الحديث" هنا ليس المقصود منه الغناء؛ بل عموم اللهو، وعموم اللهوي مباح إلا أن يُشغل عن واجب، ويدل على ذلك قوله تعالى " لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّـهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ" ، فقد قرن الله عز وجل اللهو المذموم بأنه مشغلة عن الواجب وذريعة للباطل والإضلال عن سبيل الله والحق.

ولو كان الغناء هو اللهو لصرح به وما كان قرنه بالإضلال عن سبيله، لأنه جاءت أدلة على إباحة عموم اللهو منها: " عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: "أنَّها زَفَّتِ امْرَأَةً إلى رَجُلٍ مِنَ الأنْصارِ، فقالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: يا عائِشَةُ، ما كانَ معكُمْ لَهْوٌ؟ فإنَّ الأنْصارَ يُعْجِبُهُمُ اللَّهْوُ". فاللهو هو مطلق الوسائل التي تُحدث الأنس واللذة في الإنسان.

- الرد على الدليل الثاني: "وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا".

رد على تفسير الزور في الآية بأنه الغناء: بأن هذا ليس بتفسير سليم، فالزور هو الكذب وقد جاء مقترنا بالشهادة في قوله " وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ" ، والمعنى أن المقصود هو شهادة الزور ليست من صفات المؤمنين بالله.

- الرد على الدليل الثالث: " لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ ، يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ وَالحَرِيرَ ، وَالخَمْرَ وَالمَعَازِفَ ".

وهذا حديث منقطع علّق عليه ابن حزم بقوله: "ولم يتصل بين البخاري وصدقة بن خالد وإنما علقه البخاري فلا حجة فيه".

وإن كان البعض يستشهد بأحاديث أخرى في هذا الباب ليقوي بها هذا الحديث في تحريم الغناء؛ إلا أننا نفترض _جدلًا_ صحة الحديث، ويكون المعنى على خلاف ما أرادوا من أن عموم المعازف حرام؛ لأن الأدلة قد بيّنت أن هناك أنواع مباحة من العزف منها الدف ،ويعلق الدكتور محمد عمارة على الحديث بقوله: "وأنا أضيف إلى القدح في إسناد هذا الحديث، أنه يتكلم عن قوم يستحلون الزنا والخمر، ويقرنون مجالس الزنا والخمر هذه بالمعازف، التي أصبحت عونا على الكبائر والفواحش.. فليست المعازف هنا مفردة، ولا مرادة لذاتها".

ويتابع: "وأنا أضيف إلى نقد ابن حزم للسند: أن المعازف والقينات هنا قد وظفت في مجلس الخمر والزنا، فأصبحت عونا على مقارفة الكبائر والخبائث، فحرمتها لما عرض لها، وليس لذاتها إذا هي وظفت في الترويح البريء عن النفس والقلب، وتجديد ملكات وطاقات الإنسان لتزداد كفاءته في النهوض برسالته في عمران الحياة الدنيا".

وكما حكى الدكتور عمارة عن الفقهاء:

- فروي عن الإمام أبي حنيفة النعمان "٨٠ ـ ١٥٠ هـ ، ٦٩٩ ـ ٧٦٧ م" كراهة الغناء، بينما العنبري، عبيدالله بن الحسن العنبري "١٠٥ ـ ١٦٨ هـ ،٧٢٣ ـ ٧٨٥ م" القاضي والفقيه والمحدث لا يرى به بأسا.
- ولقد روي عن الإمام مالك بن أنس "٩٣ ـ ١٧٩ هـ ٧١٢ ـ ٧٩٥ م" تحريم الغناء، في حين كان قاضي المدينة ومحدثها الزهري، إبراهيم بن سعد "١٨٣ هـ، ٧٩٩ م" لا يرى به بأسا.
- وروي عن الإمام الشافعي، محمد بن إدريس "١٥٠ ـ ٢٠٤ هـ، ٧٦٧ ـ ٨٢٠ م" أنه مكروه يشبه الباطل.
- وروي عن الإمام أحمد بن حنبل "١٦٤ ـ ٢٤١ هـ، ٧٨٠ ـ ٨٥٥ م" في الغناء ثلاث روايات: الحل، والكراهة، والحرمة.

وإذا كان غير معقول ولا وارد تضارب وتناقض الفتاوى عند الإمام الواحد، وفي المذهب الواحد، والعصر الواحد، والمدينة الواحدة، للون واحد من الغناء.. فإن المتبادر إلى العقل الفقهي هو أن تعدد الفتاوى قد نتج عن تعدد ألوان الغناء الذي سئل الفقهاء عن حكمه، فالإفتاء بالحل، أو بأنه لا بأس به كان عن الغناء المباح، والتحريم كان للغناء الحرام، والكراهة، كانت للغناء المكروه.

ويشهد لذلك أن تحريم الإمام مالك إنما كان، تحديدا، للغناء المحرم، إذ المروي عنه أن جوابه إنما كان عن سؤال عن الغناء الذي أحدثه الفساق في المدينة.. فلقد سئل عن هذا اللون تحديدا، فقال "إنما يفعله عندنا الفساق".

إن السماع الطيب ليؤثر حتى على الحيوانات ؛ فما بالك بالإنسان!

- كما ثبت في صحيح البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه " أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ كانَ في سَفَرٍ، وكانَ غُلَامٌ يَحْدُو (يُنــشد) بهِنَّ يُقَالُ له أنْجَشَةُ، فَقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: "رُوَيْدَكَ يا أنْجَشَةُ سَوْقَكَ (رفقًا) بالقَوارِيرِ"

أنجَشةُ هذا غُلامٌ أسود، كان يسوقُ الإبل ويقودهُا بنساء النبيِّ _صلى الله عليه وسلم _ عام حِجَّةِ الوَداع، وكان حَسَنَ الصوتِ، وكان إذا حَدَا (أي أنْشَد)، أسْرَعتِ الإبل.فقال لهُ النّبي:" يا أنْجَشة رُويدَكَ سَوقَكَ بالقَواريرِ". يَخافُ صلى الله عليه وآله وسلم أن يُزعِج انبعاثَ النَّاقة للمَشي النِّساء اللّواتي على ظهورها.

- وقد اجرى حديثًا الدكتور ادريان نورث والباحث ماك كينزي من جامعة ليستر الانجليزية اختبارات استمرت على مدى تسعة اسابيع على الف بقرة من نوع هولستاين فريزبانس، وتبين لهما ان استماع الابقار الى موسيقى رومانسية هادئة تجعلها تعيش في حالة مزاجية مختلفة تحثها على اعطاء مزيد من الحليب. لجأ الباحثان الى تركيب نظام موسيقي منزلي في عدد من زرائب الابقار وحيث ظلت تلك

الموسيقى تعزف لمدة ١٢ ساعة يوميا، وقد استمعت الابقار الى موسيقى سريعة واخرى بطيئة. وقد تبين بعد رصد اجمالي النتائج ومعدلات الانتاج ان معدل انتاج الحليب ارتفع بمقدار ٠٣٧ لترا للبقرة الواحدة يوميا عند استماعها للموسيقى البطيئة الهادئة.

وكان الشيخ حسن العطار شيخ الجامع الأزهر الشريف عالمًا جليلًا، وقد قال عن السماع: "من لم يتأثر برقيق الأشعار ، تتلي بلسان الأوتار ، علي شطوط الأنهار ، في ظلال الأشجار ؛ فذلك جلف الطبع حمار!"

الخلاصة أن الغناء كلام؛ حسنه حسن وقبيحه قبيح، وعلى القبح والحسن يكون الإباحة والحظر.

وأن المعازف والموسيقى منها القبيح المزعج ، ومنها الرقيق المُبهج، وعلى القبح والرقة تكون الإباحة والمنع.

وأن الاقتران مصوغ للتحريم والحظر؛ حتى لو كان مصحفًا يُشترى بقصد الغواية والتلبيس على الناس.. ولهذا يقول ابن حزم: "كل شيء يقتنى ليضل به عن سبيل الله فهو إثم وحرام ولو كان شراء مصحف أو تحفيظ قرآن" .

فاقتران المعازف والغناء وبعض الطيبات المُباحات بالسوء ومجالس المنكرات مما يُفضي بالحرمة لا الذاتيّة وإنما الحرمة العارضة لأمر طارئ.

المصادر:

- الفتاوى، للإمام الأكبر محمود شلتوت.
- الغناء والموسيقى حلال أم حرام، الدكتور محمد عمارة.
- الغناء في الإسلام، للعلامة الشريف عبد الحي بن فخر الدين الحسني.
- https://www.albayan.ae/five-senses/2001-10-02-1.1127723

كيف ساهمت والصلاة في عدم انتشار الأوبئة والأمراض؟

"الطهور شطر الإيمان.. والصلاة نور "ﷺ

الطهارة هي النظافة والتنظيف، فرض الإسلام خمس صلوات في اليوم والليلة على أتباعه وجعل الطهارة مفتاح هذه الصلاة ، لا تصح الصلاة إلا بها،قال رسول الإسلام: "مِفْتَاح الصَّلَاة الطَّهُور."
كما حثَّ عليها بشكل عام وجعل أهلها ممن يحبهم الله "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ "

"بل جعل الإسلام الطهارة من أعظم الأسباب التي تكفر الذنوب، وذلك في صورتها المشتملة على الوضوء للصلاة "إِذَا تَوضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِم، أَو الْمُؤْمِنُ فغَسلَ وجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خطِيئةٍ نظر إِلَيْهَا بعينهِ مَعَ الْماءِ، أوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْماءِ، فَإِذَا غَسَل يديهِ خَرج مِنْ يديْهِ كُلُّ خَطِيْئَةٍ كانَ بطشَتْهَا يداهُ مَعَ الْمَاءِ أَو مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْماءِ، فَإِذَا غسلَ رِجليْهِ خَرجَتْ كُلُّ خَطِيْئَةٍ مشَتْها رِجْلاُه مَعَ الْماءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ حَتَّى يخْرُج نقِياً مِنَ الذُّنُوبِ."

وصورة الوضوء العامة هي صورة للنظافة الجسدية التي تساهم في حماية المرء من الأوبئة والأمراض المُعدية المنتقلة عن طريق حاسة اللمس والشم والتذوق.. فحين يشرع المسلم في الصلاة يبدأ في الوضوء بـغسل يديه ثلاث مرات، ثم ينظف فمه بالمضمضة ثلاثًا، ثم ينظف أنفه بالاستنشاق ثلاثًا..

وحين يقوم من نومه يغسل يديه كما وجهنا النبي الكريم -صلى الله عليه وسلَّم-: "إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ، فَلاَ يُدْخِلُ يَدَهُ فِي الإِنَاءِ حَتَّى يَغْسِلَهَا ثَلاَثاً، فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ."

ولما كانت صلاة الفريضة للمسلم خمس مرات، تحتاج كل صلاة منهم أن يكون المرء نظيفا بدنيا كان ذلك أحرى بالعلاج الدائم والمستمر يوميًا للأمراض، وسدًا أمام بكتيريا معدية أو وباء متنقل!

زيادة على صلوات الفريضة الخمس، المسلم مباح له صلاة النافلة التي تتعدد أغراضها ودوافعها، كل صلاة تحتاج لنظافة وطهارة. ثم لم يقف أمر الصلاة على نظافة البدن فقط؛ بل شمل أيضًا نظافة الثياب

والوقوف بجمال المظهر عند أداءها " وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ". "يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ "

لم يجعل الإسلام الفضل الجزيل للصلاة المفروضة فقط؛ وإنما كان من الفضل العظيم أيضًا لمن يقيم الصلاة النافلة، فهذا رسول الإسلام يروى عنه: "من صلى بين المغرب والعشاء فإنها من صلاة الأوابين".

أخذت النظافة محورًا عظيمًا في الإسلام لأهميتها وفضلها؛ فلو شرع المسلم في قراءة القرآن تطهر، وإذا خرج من بيته تطهر وتوضأ، وإذا جلس مع قوم يتذاكرون العلم تطهر، وإذا آوى إلى فراشه للنوم تطهر وتوضأ.. هذه الطهارة العامة المستحبة تساعدنا على السلامة وتقينا من انتشار الأمراض والأوبئة .

إن الأمر الإلهي بإقامة الصلاة المفروضة لـهو توجيهًا ضمنيًا أيضًا إلى الطهارة والتطهير، بل هو دعوة للتجمل المكتسب من النظافة والرسول يقول: "الله جميل يحب الجمال."

وكما أن الصلاة طريق للنظافة التي تقي الانسان الامراض؛ فهي أيضا طريق لتقي الانسان المهلكات ، وقد جاء "مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ كَمَثَلِ نَهْرٍ جَارٍ غَمَرَ عَلَى بَابِ أَحَدِكُمْ ، يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ" "أَرَأَيْتُمْ لو أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ منه كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ. شَيْءٌ؟" قالوا: لا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قال: "فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الخَطَايَا"

وقد كانت الصلاة مانعة للهلع جالبة للراحة البدنية والنفسية حينما أحسن العباد إقامتها؛ وقد كان يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "أرحنا بها يا بلال". أي الصلاة .

فهل سنتعظ ونسعى لحُسن إقامة الصلاة لننال الراحة والصحة ؟

كيف فنَّدَ التفتازاني الأفكار الواهية لمنكري البعث؟

في كتاب شرح المقاصد للإمام التفتازاني رحمه الله تجد ما لا تجده في الكتب التي اهتمت بشرح العقيدة والرد على الشبهات التي يثيرها أهل الأهواء، هذا الشرح القيّم الذي بيّن عوار الأفكار الملحدة وانحرافها، وأزال اللبس عن المصطلحات، وأقام الحجة الساطعة بالفكر والمنطق. نقف معه وقفة قصيرة حول قضية عظيمة لطالما كانت ولا تزال مشغلة لكثير من العقول؛ ألا وهي قضيّة البعث أو الحياة بعد الموت.

تعريف البعث

البعث في اللغة بمعنى "الإرسال" ، ولذا يُقال: بعثه، أي أرسله. وقد يطلق ويراد منه "الإخراج" أو "الإحياء" ، يُقال: بعثته من الدار، أي أخرجته منها، وبعث الله الموتى؛ أي أحياهم.

وفي الاصطلاح الإسلامي يُعرّف بأنه "بعث الله تعالى الموتى من القبور بأن يجمع أجزاءهم ويعيد الأرواح إليها" ، وقيل هو "الرجوع إلى الوجود بعد الفناء" .

الأدلة على البعث

يعتبر من أقوى الأدلة على البعث هو تأمُّل البداية الوجوديّة للخليقة، فمن كان قادرًا على الوجود الأول من العدم؛ فهو بالأحرى قادر على الوجود الثاني وإعادة الفاني.. لكونه أهون وأيسر .

ثم إنك حين تتفكّر في هذه الحياة، تُدركُ أن هذه التجربة التي تعيشها اليوم كيف يستحيل وقوعها ثانية ، فليس أكثر عداءً للمنطق والعقل الإنساني، من أن نُسلّم بوقوع حادث في الحال وننكره في المستقبل!

إن العجز الإنساني ليقرر ببداهة أن "المستحيل" في نظر العقل البشري لا يكون مستحيلًا بذاته دون سند من الوحي المطلق الذي أيّد الله به عباده، فالذرة والكهرباء وإمكانية تحويلها إلى مادة أو العكس، وهبوط الإنسان على سطح القمر، ونزوله إلى قاع البحار وتسجيل ما يحدث فيه.. كل هذه الأمور لو تحدث عنها في الماضي لاستبعدت ولاعتبرت من ضروب البلادة العقلية المستحيلة!

وإذا كان قد حدث هذا وهو من صنع الإنسان المحدود الطاقة والذكاء، فكيف بالقادر والعالم المطلق؟

شبهات حول البعث

لقد حاول البعض أن يضع العقبات والصعاب في طريق الإيمان بالبعث والحياة الآخرة، لكن ما هي إلا محاولات باءت بالفشل الظاهر، ومن تلكم العقبات قولهم:

- إن الله يخلق بدنًا جديدًا للميتين الذين خربت أبدانهم، يكون غير البدن الأول، وعليه فإن فإن المثاب والمعاقب باللذات والآلام الجسمانيّة غير من عمل الطاعة وارتكب المعصية في الدنيا؟!

لكن هذا التساؤل قد وقع في مغالطة ألا وهي "نسيان القدرة المطلقة" التي تملك أن تعيد المعدوم بعينه!

ولكن مع هذا الذي فرضوه لن يكون له أدنى اهتمام لو علمنا أن العبرة في اللذات والآلام إنما تكون بـ"الإدراك". هذا الإدراك للروح ولو بواسطة الآلات، وهذه الروح باقية بعينها لا تتغير، ولذلك يُقال للشخص من الصبا إلى الشيخوخة: إنه هو بعينه، وإن تبدّلت الصورة والهيئات.

ولا يُقال لمن جنى في الشباب فعوقب في المشيب أنها عقوبة لغير الجاني !

فالروح هى مدار الأمر، ولولاها لا قيمة للجسد أصلًا ولا إحساس له.

- وقد اعترض البعض قائلًا: لو أن إنسانًا أكل إنسانًا وصار غذاء له جزء من بدنه.. فعلى هذا سيكون المُحاسب يوم القيامة في جزء من بدن الآكل، وهكذا فلن تكون المقاضاة عادلة كما يجب!

ولكن هذا التساؤل ينم عن عدم إدراك بقدرة الله العظيمة التي تعيد الأجزاء الأصلية إلى مكانها بكل بساطة وسهولة، فقدرة الله تنفي مثل هذه التساؤلات الواهية من أساسها.

وهكذا سار إمام الدين التفتازاني في كتابه مبينًا بالعقل السليم عوار الفكر الشارد عن الحق والحقيقة، وطريقته هذه التي استنبطها عقلًا راجحًا معتمدًا على كتاب الله العظيم، وقد دأب العرب المشركون في محاججتهم للنبي الكريم -صلى الله عليه واله وسلم- والقرآن العظيم على عدم الاستناد إلى علم أو هدى أو كتاب منير، لأنهم أميون لم يقرأوا كتابًا ولم يستنيروا بنور العلم إلا علم الكهانة الذي ضعفت

حجته أمام القرآن وأما البلاغة فإنها لم تكن لهم علم وإنما سليقة فُطروا عليها ولذلك لم يحاججوا القرآن في بلاغته، وقد فعلها من بعدهم أقوام في تاريخ الاسلام ممن أطلق عليهم الزنادقة بعد أن صارت البلاغة علم واللغة قواعد وقد دُحضت حجتهم.

وإذا كان القرآن يحاجج الناس عامة بالخلق في الآية ٥ من سورة الحج من أجل توكيد البعث والمعاد، فإنه لا يحاجج هذه الفئة من الناس التي أصابها غرور الكسب ورغد العيش وعبر عنها بتثنية العطف وهو التبختر في قوله "ثاني عطفه" بل شرع القرآن في الآيات من ١٤ إلى ٢٤ في توكيد المعاد والبعث والجنة والنار كحقائق في الكون، وخاتمة آية ١٤ التي تبدأ بالتوكيد تؤكد هذا في قوله "إن الله يفعل ما يريد" فالبعث والمعاد والجنة والنار تدخل في إرادة الله تعالى، وهي لذلك حقائق في الكون لأنها من الخلق بالحق وتوكيد من خلال البعث والمعاد على أن خلق السماوات والأرض لم يكن لهوًا ولم يكن باطلًا بل هو الخلق الحق الذي يترتب عليه وينشأ عنه الحق في الثواب والعقاب في البعث والمعاد.

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ

لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) [سُورَةُ الْحَجِّ: ٢٢-٥.

لقد ورد في آخر الآية، أنكم ترون الأرض وكأنها هامدة قاحلة عاجزة عن الإنبات والعطاء، وما إن نُنزل عليها الماء الغزير من السماء، حتى تبدأ بالحركة والاهتزاز، فينبت نباتها بقوة، وينمو زرعها بشكل سريع. أجل، ويخلق الله سبحانه زوجين من كل شيء، وترسم يد القدرة مشاهد من الجمال خلابة تبهج القلوب وتبهر الأنظار.

أوَ يعجز القدير المطلق الذي أقام الكون عن إقامة حياة بعد الموت لبني آدم؟

معنى أن تُعلّم ولدك القرآن

لطالما تُطربُ الآذان بالأقوال الطيبة التي تبرق حسنًا في سماء الأفكار والآراء، لقد هبَّ المؤمنون على كتاب الله العظيم تعليمًا وتدريسًا وتفقيهًا، تراهم يُعلمون أولادهم كتاب الله الكريم (القرآن العظيم) منذ نعومة أظافره، تسل الواحد منهم لم هذا؟ يرد قائلًا: إنه كتاب الله المجيد، الصاحب الحسن، والصديق النافع، والمُعين الراشد، والهادي إلى سبل الرشاد.. ولذلك كان البيان النبوي الساطع: **" خيرُكم مَن تعلَّم القرآنَ وعلَّمه"**

لكن لو قلت للبعض منهم: ما الجوانب التي تُعلّمها ولدك في القرآن غير التلقين والحفظ؟
لا تكاد تسمع جوابًا إيجابيًا من هذا البعض! لأنه أغلق لُبّه على أن الحفظ للقرآن كفيل بالنجاة وتحقيق السعادات الدنيوية والأخروية!

لا يعلم هذا البعض أن من أعظم أسباب انحراف القوم هو حفظهم القرآن الكريم دون تفقه وفهم ؛ حتى أنهم كانوا يرفعون المصحف على أسنة السيوف مطالبين تحكيمه في شؤونهم وأمورهم؛ حتى غدا

الالتجاء إلى كتاب الله الكريم سُـبّة عند الجهَّال؛ لما يرونه من سلوك بعض حملة القرآن العظيم المُخالف لما قرره الإسلام من الحب والسماحة والعدل.. كل هذا مما يحزن القلب ويُدمع العين كان سببه الأسمى هو "الغرور بالحفظ " وإهمال التفقه والتفهم للمعاني القرآنية الجليلة.

الواجب على الآباء وأولياء الأمور أن يفطنوا لهذا الجانب ذي الأهمية الكبيرة، وأن يهتموا بتعليم الأولاد الفهم الرشيد والفقه السديد لكتاب الله الكريم؛ ليرفعوا رايته أعالي القمم، ويُنيروا بضوئه البهي ظلام هذا العالم الغارق في متاهات الفكر الحائر! قال الله العظيم: " إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا * وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا".

جوانب الاهتمام

إننا إذ نُحثُ على التفقه في كتاب الله؛ نُريدُ من ذلك أن نكون على المستوى اللائق بنا كمسلمين من الفهم للدين فهمًا سليمًا لنستطيع أن

نبلغه لغيرنا كما بُلّغ إلينا نقيًا سديدًا بعيدٌ عن الإفراط أو التفريط، ولذلك فإنه ينبغي أن نلتزم بعدم أمور في سبيل ذلك، وهي:

- أن نختار بداية الشيخ الموفّق والمُعلّم المُسدد ليكون زادًا للولد في الحفظ والقراءة الصحيحة.

- بعد أن نحسن اختيار المعلم الحافظ؛ علينا أن نختار الفقيه الراشد ليفقّه ويُدرّس هذا الولد ما يحفظه من كتاب الله عز وجل حتى يكون على علم بما يحفظ من القرآن ولا تتراكم عليه الآيات الكثيرة والسور الطوية فيأتي بعد ذلك فيتخلله الكسل ويغشاه الخمول!

- هذا المُفسِّر الفقيه الذي يربي الولد على الفطرة النقية المتمثلة في القرآن الكريم قد قام بأهم صنعة في الحياة؛ ألا وهي تثبيت النقاء والصفاء في القلوب صغارًا ليكونوا كبارًا، لكن مع هذا لا بد من انتقاء المربي الحاذق لتعريف الولد على نبي الله عز وجل وتعليم سنته، وأهميتها، وكيف يتوسط بين جفاء القرآنيين وتشدد التراثيين، وكيف يفهم ما فهمه الصحابة الكرام وتابعيهم الأكابر من السّنة النبوية العطرة.

- إن أحسن الآباء السالف مما ذكرنا؛ نشأ الطفل واعيًا فطنًا مؤمنًا فيدخل المعاهد والمدارس فيتلقى ما سيتلقاه من شتى

العلوم المختلفة حتى ينتهي من تعاليمه الجامعية وقد تركبت فيه القوة الإيمانية العلميّة التي لا تقدر رياح الضلال والاستبداد على تحطيمها، هذه القوة التي تجعل من هذا المؤمن دعوة متحركة في حياة الناس تبثُ الخيرات بينهم وتبعث فيهم روح المجد والعدالة التي حطمتها أنفاس المفسدون!

ولا شك أن هذا من الواجب الديني الذي دعا إلى إحسان ما يعول المرء، والاهتمام بالأبناء والرعية ؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم قال: " كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤول عن رعيَّته".

وقد قابل الدين هذا الإحسان بالجزاء الأحسن منه عندما جعل دعوة هذا الولد لوالديه بعد مماتهما مقبولة عند الله يُعطوا عليها الثواب العظيم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " إذا مات ابنُ آدمَ انقطع عملُه إلا مِن ثلاث: صدَقَة جارية، أو عِلم ينتفع به، أو ولَد صالح يدعو له"

لماذا القرآن؟

أقول لك لماذا نحثّــك على تعليم وتعلم القرآن الكريم:

أولًا: لأنه السبيل إلى الرقي الفكري للوصول السليم لذروة الإيمان الصحيح، لقد دعا القرآن أول ما دعا إلى عدم الرضا بفكر تائه أو دعوى بغير حجة قوية، ودعانا إلى عدم التصديق إلا بالبرهان الساطع فقال: " قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ".

ثم تمعّن في الحث القرآني على التفكر السليم الموصل إلى النتائج اليقينية التي تزيد المؤمن إيمانًا:

"إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ"

"قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ"

"أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ "

" أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ "

"أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا"

" أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ "

ثانيًا: إن به لصرح عميق من الدعوة إلى العلوم لبناء الحضارات، وإقامة العدل في الحياة، كما ضمن التكافل الاجتماعي بين الناس في المجتمع الواحد.. كل ذلك من خلال منهجه العظيم، انظر كيف قرن الله تعالى قراءة كتابه بالعمل الصالح الذي يعود أثره على الناس والله يقول: " إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ * لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ"

ثالثًا: القرآن الكريم يرسّخ المبادئ العامة للحياة الكريمة بين الناس كلهم على اختلافهم الديني والعرقي. انظر إلى ترسيخه للمبادئ الأساسية للسلام بين الناس بعضهم بعضًا، وكيف تكون الحياة بدون غش أو إسفاف:

"قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ"

"وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ "

"قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ "

ويقول النبي: "مَن غشنا فليس منا" ، "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ، واسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا" .

رابعًا: إنه _أي القرآن الكريم_ طريق موصل إلى النعيم المقيم المُدّخر في دار الدوام بعد هذه الفانية القصيرة. انظر ماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في فضل كتاب الله: "وَإِنَّ الْقُرْآنَ يَأْتِي صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَنْشَقُّ عَنْهُ قَبْرُهُ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ، فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَعْرِفُنِي؟ فَيَقُولُ: مَا أَعْرِفُكَ،فَيَقُولُ: أَنَا صَاحِبُكَ الْقُرْآنُ الَّذِي أَظْمَأْتُكَ بِالْهَوَاجِرِ، وَأَسْهَرْتُ لَيْلَكَ، وَإِنَّ كُلَّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ، وَإِنَّكَ الْيَوْمَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تِجَارَةٍ، فَيُعْطَى الْمُلْكَ بِيَمِينِهِ،وَالْخُلْدَ بِشِمَالِهِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ

تَاجُ الْوَقَارِ، وَيُكْسَى وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لا يُقَوَّمُ لَهُمَا أَهْلُ الدُّنْيَا، فَيَقُولانِ: بِمَ كُسِينَا هَذَا؟ فَيُقَالُ لَهُمَا: بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ، ثُمَّ يُقَالُ: اقْرَأْ وَاصْعَدْ فِي دَرَجِ الْجَنَّةِ وَغُرَفِهَا، فَهُوَ فِي صُعُودٍ مَا دَامَ يَقْرَأُ هَذًّا كَانَ أَوْ تَرْتِيلا".

ماذا ترتب على تحقيق الفهم الراشد للقرآن في الحياة؟

لقد تحقق في أرض الواقع ما أدهش العالم كله من روعة البناء الإنساني، والاهتداء الحضاري الذي أُنشئ حين تجسد القرآن في الحياة حاكمًا ومُعينا، لقد حوّل من بيئة ملؤها العصبيّة والتنازع والفحش إلى بيئة تسودها الحب والتضحية والفداء من أجل الحق والحقيقة، وهذا ما كان في بيئة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم حينما بُعثَ بالهدى ليأخذ الناس إلى السلام والإسلام.

وهذا ما علمه أكبر باحثي الغرب بعد بحث واطلاع، يقول غوستاف لوبون في حضارة المسلمين والإسلام: "ولم يقتصر فضل العرب والمسلمين في ميدان الحضارة على أنفسهم؛ فقد كان لهم الأثر البالغ في الشرق والغرب، فهما مدينان لهم في تمدنهم، وإن هذا التأثير خاص بهم وحدهم؛ فهم الذين هذبوا بتأثيرهم الخلقي البرابرة، وفتحوا لأوروبا ما كانت تجهله من عالم المعارف العلمية والأدبية، فكانوا ُممدنين لنا وأئمة لنا ستة قرون، فقد ظلت ترجمات كتب العرب

ولا سيما الكتب العلمية مصدرا وحيدا للتدريس في جامعات أوروبا خمسة أو ستة قرون. فعلى العالم أن يعترف للعرب والمسلمين بجميل صنعهم في إنقاذ تلك الكنوز الثمينة" .

و يقول توماس كارليل: " لقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متمدن من أبناء هذا العصر أن يصغي إلى ما يظن من أن دين الإسلام كذب وأن مُحَمَّداً خَداع مُزور، وآن لنا أن نُحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة، فإن الرسالة التي أداها ذلك الرسول ما زالت السراج المنيرة مدة اثني عشر قرناً لنحو مائتي مليون من الناس. إن الله أخرج العرب بالإسلام من الظُلمات إلى النور، وأحيا به من العرب أمة هامدة..، فأرسل الله لهم نبياً وما هو إلا قرن بعد هذا الحادث حتى أصبح لدولة العرب رجل في الهند ورجل في الأندلس وأشرقت دولة الإسلام حقباً عديدة ودهور مديدة بنور الفضل والنبل والمروءة والبأس والنجدة ورونق الحق والهدى على نصف المعمورة".

ثم إنه حقق الحضارات بعد النبي محمد صلى الله عليه وسلم عندما سار اتباع النبي على دربه المشرق يُطبقون سنته في مشارق الأرض ومغاربها فكان الزمن العادل، والحرية الراشدة، والنور الهادي..

لكنّ اليوم ونحن واقعون في مستنقع الذل والمهانة والتخلف؛ لا يسعنا إلا أن نتحسّر على ما فات منا في تضيع الإصغاء إلى القرآن الكريم، وأن نتدارك خطئنا بالرجوع إليه والسعي لسنة النبي الأكرم حتى نحقق ما يحمله الدين لأرض الناس.

المصادر:

- القرآن الكريم.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة لألباني.
- أوروبا المتحررة.. كيف كانت، وكيف أثّر الإسلام فيها ؟ (بحث في التأثير الإسلامي على الغرب) ، محمد عبيد. https://books-library.online/free-1207570925-download

مصطلحات يجب أن تعرفها

* **"الجاهلية"** في المصطلح العربي والإسلامي هي: زمن الفترة ولا إسلام. أي الفترة بين رسولين، وليس هناك دين صحيح يكون في هذه الفترة، ويكون الشرك والوثنية هما محور الاعتقاد.

والذين أطلقوا مصطلح الجاهلية على المجتمعات الحديثة أطلقوه من كونه "حالة" لا "فترة زمنية" .

ويأتي حديث الرسول صلى الله عليه وسلم موضحًا ذلك، فعن جابر بن عبد الله قال: كنا مع رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وقد ثابَ معه ناسٌ مِنَ المهاجرينَ حتَّى كثرُوا، أي: اجْتمعَ معه ناسٌ مِنَ المهاجرِينَ حتَّى كثُروا، وكان مِنَ المهاجرينَ رجلٌ لَعَّابٌ، أي: يلعب بِالحِرابِ، فَكَسعَ أنصاريًّا، أي: ضرَبَ دُبرَه بيدِه أو رِجلِه، فَغضِبَ الأنصاريُّ غضبًا شديدًا حتَّى تداعَوا، أي: استغاثوا ونادَى بعضُهم بعضًا، وقال الأنصاريُّ: يَا لَلأنصارِ، وقال المهاجريُّ: يَا لَلمهاجرينَ، فخرَجَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فقال: **"ما بالُ دعْوى أهلِ الجاهليَّةِ؟!"**

قال الإمام البخاري رحمه الله حدثنا سليمان بن حرب قال حدثنا شعبة عن واصل الأحدب عن المغرور قال: لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حُلة وعلى غلامه حُلة، فسألته عن ذلك فقال: إني سابيت رجلاً فعيرته بأمه، فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم: يا أبا ذر! أعيرته بأمه؟ إنك امرؤٌ فيك جاهلية، إخوانكم حولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم، فوجود شيء من حال الجاهلية في الصحابي الجليل ابا ذر لا يعني أنه كان في جاهلية عامة وأنه كافر!

* **"السلفية"** نسبة إلى السلف ، والسلف هو الماضي.. قال تعالى: "فمن جاءه موعظة من ربه...". وقال ابن منظور: "السالف أي المتقدم" الماضي.

لذلك كانت السلفية الحقة في الإسلام هي الرجوع إلى الأحكام الشرعية الأولى وإلى منابع الإسلام الأساسية الأولى متمثلة في "الكتاب والسنة".

وهكذا فالسلف كلمة مرادفة لكلمة "قبل" سواء بسواء.. وعلى هذا فهي فترة زمنية مباركة في الفكر الإسلامي لا مذهبًا دينيًا.

لكن أصبح مصطلح "السلف" اليوم يُـطلق على إتباع منهج مُـعين وجماعة مُـعينة يدّعـون أنهم يسيرون على طريقة السلف الأولى في فهم النصوص واستنباط الأحكام.

* **"الحقيقة والمجاز"** الحقيقة مشتقة من الحق وهو الثابت وسمي اللفظ المستعمل فيما وضع له أولًا حقيقة؛ لثبوته على ما وُضع له. وتعرف في الاصطلاح بأنها اللفظ المستعمل فيما وضع له في اصطلاح التخاطب.

والمجاز مشتق من الجواز بمعنى التعدي والعبور. ويعرف اصطلاحًا بأنه اللفظ المستعمل في غير ما وضع له. وقد يعدل عن الحقيقة للمجاز، وأسباب هذا العدول الاتي:

المجاز: هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له.

أسباب العدول:

١- بلاغة المجاز، بأن يكون مُحققا لمحسن بديعي ، نحو: زيد أسد، فإنه أبلغ من شجاع.

٢- ثقل الحقيقة على اللسان، كلفظ الخنفقيق اسم للداهية، يعدل عنه إلى الموت أو الحادثة.

٣- بشاعة الحقيقة، كالخِراءة، يعدل عنها إلى الغائط.

٤- أن يكون في المجاز تعظيم لحال المخاطب، كما يقال: سلام على المجلس العالي، فهو أرفع في المعنى من قوله: سلام عليكم.

٥- جهل المتكلم أو المُخَاطَب للفظ الحقيقي، نحو قوله تعالى"يد الله فوف ايديهم". فالمخاطب يجهل كنه اليد في حق الباري.

٦- أن تكون الحقيقة مرجوحة والمجاز هو الراجح.

هل يقع المجاز في القرآن والحديث؟

انكر ذلك أبو إسحاق الإسفراييني، وأبو علي الفارسي، وقالا: ما يظن مجازًا فهو حقيقة.

كما أنكره الظاهرية لأنه كذب بحسب الظاهر.

قال جمهور العلماء بوقوعه، حكاه الشوكاني.

الرأي الراجح:

رأي الجمهور، حيثُ يُدرك ببداهة وقوعه في آيات القرآن الكريم، نحو قوله تعالى: "واخفض لهما جناح الذل من الرحمة"

فالجناح الحقيقي خاص بالطائر، ومستعمل هنا في غير ما وضع له. وقوله: "وسئل القرية". فسؤال الدُّور مُحال، والمراد أهلها..

* "العلمانية" يدّعي البعض أنها نسبة إلى العِلم، لكن هذا خطأ، والأصح أنها نسبة إلى العَالم؛ فيقال: العالمانية، وهكذا تُفيد الانتماء إلى العالم الدنيوي والتنكر من العالم الأخروي، وهي في حقيقتها تقابل الدين بمعنى أنها "اللادينية". وإنما استعمل مصطلح العلمانية واستبعد مصطلح اللا دينية لأنه أقل إثارة للاذهان.

ويؤكد هذا ما قالته دائرة المعارف البريطانية عن معنى هذه الكلمة في أصلها الإنجليزي:"هي حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة إلى الإهتمام بهذه الدنيا وحدها..".

وقد كانت أول نشأتها في أوروبا نتيجة للظروف التي مرت بها.. وتكمن هذه الظروف في "فساد الدين ورجاله" مما كان له أثر سيء على المجتمع والناس .

* **"الفلسفة"** هي عمل عقلي حر يقصد منه المعرفة الكاملة لمبادئ الحقيقة الواقعة، وينتهي بالحصول على هذه المعرفة الحقيقية. ومن هنا ندرك أن مهمة الفلسفة كلية تعليلية؛ فمثلًا العلم يبحث كيف تظهر الحوادث؟ لكن الفلسفة تبحث لماذا تظهر الحوادث؟

ومع أن مهمة الفلسفة كلية وكذلك مهمة الدين أيضًا؛ إلا أن بينهما ارتباطا وثيقًا، لأن كل منهما يسعى لتوضيح الطريق الذي يرى فيه سلامة البشرية في التعايش معًا.

وإذا كان الأمر كذلك فإن الدين الصحيح يحثُ على التفلسف ولا نزاع بينهما، لأن العقل من عند الله والدين من عند الله ايضًا، فالدين ضرورة وحقيقة في الحياة والفلسفة تبرهن على هذه الحقيقة باستخدام العقل للوصول للغاية الصحيحة.. ولا يكون نزاع بين الدين والعقل إلا إذا كان الدين باطل أو فاسد.

وإذا علمنا أن الفلسفة ليست شيئًا غير استخدام العقل والتفكير؛ علمنا أن كل عقلاء البشر يتفلسفون، لكن الفرق بين الفيلسوف الأكاديمي أو المنهجي وبين العامة ممن يفكرون أن الفيلسوف المنهجي يستكمل

التفكير لإيجاد حل كلي لمشكلة الفقر في الحياة كلها؛مثلًا، مؤصلًا لنظريته بالأدلة والبراهين، بينما يقف الإنسان العادي بتفكيره عند حاجاته الجزئية مثلًا.. فالإنسان العادي يقول: كيف اتخلص من فقري؟ بينما يقول الفيلسوف: كيف أتخلص من الفقر؟

* **"الإسلام"** هو عبارة عن الانقياد والاستسلام لمنهج الله الذي خلق هذه الحياة.. وهذا الانقياد نتاج تفكير حر يُحتم على ذوي العقول الانقياد لخالقهم ومن بيده صلاحهم، ومن أهم صفات المسلمين ما قاله النبي محمد _صلى الله عليه وسلم_ "المسلم من سلم الناس من لسانه ويده".

وبهذا التعريف صار الإسلام علمًا على الدين الذي جاء به النبي محمد _صلى الله عليه وسلم_ فكل مُتبع لتعاليمه يُسمى مُسلمًا. ولهذا قال القرآن "إن الدين عند الله الإسلام". ليبين أن الإسلام هو الدين القائم على الحق والبراهين دون خلل أو تحريف إلى قيام الساعة.

* **"أهل السنة والجماعة"** ليسوا صنفًا واحدًا من الناس؛ بل إن أهل السنة أصناف يتفقون على التوحيد والعدل والثواب والعقاب وإثبات الصفات لله عز وجل..

وإن اختلفوا فيما بينهم في الفروع من اجتهادات.
وليست التسمية بـ "أهل السنة والجماعة" علمًا على فرقة بعينها؛ وإنما هي وصف لمن يتبع سنة النبي _صلى الله عليه وسلم_ وطريقته في تطبيق القرآن الكريم ولزوم جماعة المسلمين على الحق المبين.
هذا إن اعتبرنا أن حديث "افترقتِ اليهودُ على إحدَى وسبعينَ فرقةً ، وافترقتِ النصارَى على اثنتَينِ وسبعينَ فرقةً ، وستفترقُ هذه الأمةُ على ثلاثٍ وسبعينَ فرقةً كلُّها في النارِ إلا واحدةً، قيل : من هي يا رسولَ اللهِ؟ فقال صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : مَن كان على مِثلِ ما أنا عليه وأصحابِي" صحيح.

مع أن عبارة "كلهم في النار إلا واحدة" مختلف في صحتها، ومن الأئمة العظام من يرى أنها مدسوسة في الحديث لشق الوحدة والعصبة.. ومن هؤلاء الأئمة ابن حزم وابن الوزيري في العواصم.

المصادر:

معركة المصطلحات، محمد عمارة
الدين والفلسفة والتنوير، محمود حمدي زقزوق
الاسلام والعلمانية، يوسف القرضاوي

مكانة السّـنة النبويّة

إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنزل عليه القرآن فكانت سنته هي تطبيقه للقرآن، قولًا، وعملًا، وتقريرًا، وقد سار على سنته الصحابة ومن بعدهم من المسلمين ، لكنا في هذه الفترة الأخيرة التي نعيشها نجد أن نار الهجوم الحاقدة على السنة قد أوقدت بخبث وتنطع.. والعجب أن أهل هذه النار يدّعون الصلاح والإصلاح!

ويُـزال هذا العجب عندما تسمع ما حكاه الله عن الشيطان بفعله الخبيث في تزيين الباطل لآدم عليه السلام حين قال له: "هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ"

فوجب علينا معرفة مكانة سنة نبينا الشريفة وقوتها في التشريع والاتباع.

ونرجو أن يكون الجميع كما قال البوصيري في بردته:

وكلهم من رسول الله ملتمس ** غرفاً من البحر أو رشفاً من الدِّيَم

مفهوم السنة

عرفها المحدثين بأنها: كل ما صدر عن النبي _صلى الله عليه وسلم_ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خِلقية أو خُـلقية،وسائر أخباره، سواء أكان ذلك قبل البعثة أو بعدها.

أهمية دراسة السنة

تعد دراسة السنة أمر ضروري لطلاب العلم في مجالات كثيرة منها العربية والتاريخ، وأما ضرورته للتخصص في الشريعة فواضحة، حيث يعرفنا على كثير من أمور اللغة العربية التي هي لغة القرآن الكريم ولغة النبي صلى الله عليه وسلم.

وتتمثل دواعي معرفة الحديث كونه موضحا ومفهما للعربية، ومعرفا على النبي وخلقه، ومبينا لجميل حبه لنا.. فيما يلي:

١_ تأثير الحديث النبوي على الثقافة العربية ، فقد عمَّت السنة كل أنواع الكتب في مكتباتنا حيثُ تعتمد السند على كل أنواع الكتب، مثل: كتاب الأغاني للأصفهاني أبي الفرج، والأمالي لأبي علي القالي، وتاريخ الرسل والملوك لابن جرير الطبري..

٢_ يعتبر كل ما في ثقافتنا من تنوع وتعدد وتلون في العلوم والفنون والمعارف إنما هو لخدمة القرآن والسنة .

٣_ هناك التحام وثيق بين العربية والعلوم الإسلامية ومعرفة كلاهما يوضح الرؤية الكاملة الصحيحة

٤_ قواعد علم المصطلح تعلم المنهجية في الحكم على الأخبار دون أن يكون تأثر بأي اعتبار آخر غير تطبيق تلك القواعد.

السنة المصدر الثاني للتشريع

المصدران الأصليان للشريعة الإسلامية هما الكتاب والسنة؛ فمكانة السنة إذن رفيعة عظيمة، ولها قوة تشريعية ملزمة، وعليها يقوم جزء ضخم من كيان الشريعة، وليس للمسلم إلا اتباع أوامرها والوقوف عند حدودها..

ونستطيع أن نبين مكانتها من خلال الأتي:

- **الإتباع:** القرآن يأمرنا أمراً مباشراً بإتباع الرسول، فكيف يحتج التابع بأن قول المتبوع ليس بحجة، (قل إن كنتم

تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم)

- **الطاعة:** الله تعالى يأمرنا بطاعة الرسول، فأمر الله لنا بطاعته يجعل لقوله وفعله المتعلق بأمور الشرع حجة ملزمة لنا، (ومن يطع الرسول فقد أطاع الله) النساء (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) النساء.

- **الاقتداء به في أفعاله المتعلقة بأحكام الشريعة :** (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) الأحزاب

- **وجوب الإلزام بأمره ونهيه:** (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) الحشر

مثالها: كيفية الوضوء، وأداء الصلوات، وأداء مناسك الحج.. إلى غير ذلك.

كما روى التبريزي بسنده في مشكاة المصابيح عن النبي : "صلُّوا كما رأَيتُموني أُصَلّي"، (ج: ٢ ، ص: ٣٧٥.) ، وروى السيوطي

بسنده في جامع المسانيد والمراسيل عن النبي : "يَا أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوا عَني مَنَاسِكَكُمْ، فَإني لاَ أَدْرِي لَعَلي لاَ أَحُجُّ بَعْدَ عَامِي هٰذَا"، (ج: ٩ ، ص: ١٣٢)، وفي فعله وهديه من الواجبات والمندوبات، فالسجود ركن والدعاء فيه مستحب، وكلاهما فعله النبي .

٥. **مبيناً للشريعة:**(وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) النحل.

ومثاله: ما رواه عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: احتلمتُ في ليلةٍ باردةٍ في غزوة ذات السلاسل، فأشفقتُ إنِ اغتسلتُ أن أَهلِكَ، فتيمَّمتُ، ثم صلَّيتُ بأصحابي الصبح، فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: ((يا عمرو، صليتَ بأصحابك وأنت جُنُبٌ؟))، فأخبرتُه بالذي منعني من الاغتسال، وقلتُ: إني سمعتُ الله عز وجل يقول:(وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا) [النساء: ٢٩]، فضحِك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئًا.

والعقل يقرر أنه قد دلت الأدلة القطعية على أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رسول الله إلى خلقه.. وما دام أنه رسول الله إلى خلقه فبديهي أنه يجب على الجميع أن يتبعوه وينقادوا له ويتمسكوا بما جاء به.

السنة في معظمها وحي من الله عز وجل

١. علمنا أن السنة هي: كل ما صدر عن النبي _صلى الله عليه وسلم_ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خِلقية أو خُـلقية،وسائر أخباره، سواء أكان ذلك قبل البعثة أو بعدها.

والمقصود بأقواله: كلُّ ما تلفَّظ به رسول الله صلى الله عليه وسلم في مختلف الظروف والمناسبات، ويطلِق عليه العلماء السنةَ القولية، ويُجمع فيُقال: سنن الأقوال، وهي تمثِّل جمهرة السُّنة، وعليها مدار التوجيه والتشريع، وفيها يتجلَّى البيان النبوي، وتتمثَّل البلاغة المحمدية بأجلى صورها.

ومثاله: قول النبي صلى الله عليه وسلم: (مَن سأل الله الشهادةَ بصدق، بلَّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه).

٢. جعله صلى الله عليه وسلم النموذجَ المثالي للإنسان الكامل الذي يسعى المسلم إلى الاقتراب منه والتشبُّه به؛ قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) [الأحزاب: ٢١].

فحركاته صلى الله عليه وسلم وسائلُ تربويةٌ تعليمية، يقصد النبي صلى الله عليه وسلم من ورائها شدَّ انتباه المتلقِّي، ولَفْت نظره إلى أهمية ما يُلْقَى عليه، فيرى بعينيه، ويسمع بأذنيه، فيكون ذلك أدعى للفهم والحفظ.

ومثال ذلك: ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال: خطَّ النبي صلى الله عليه وسلم خطًّا مربعًا، وخطَّ خطًّا في الوسط خارجًا منه، وخطَّ خُططًا صِغارًا إلى هذا الذي في الوسط، من جانبه الذي في الوسط، وقال: ((هذا الإنسان، وهذا أجله محيطٌ به - أو قد أحاط به - وهذا الذي هو خارجٌ أملُه، وهذه الخطط الصغار الأعراض؛ فإن أخطأه هذا، نهَشَه هذا، وإن أخطأه هذا، نهشه هذا.

●حتى لو قلنا أن الرسول كان يجتهد من تلقاء نفسه في فهم أحكام التشريع، فإن ذلك لا يغدوا أحد احتمالين:

إما أن بافتراض إمكانية وقوع الخطأ منه، وهنا يصبح الله عابثاً إذ يختار رسولا لتبليغ رسالة ثم يفسرها هذا الرسول على نحو مغاير لقصد الله.

أو أن يكون مصيباً، فإن كان مصيباً ولا محالة حتى لا يكون الله عابثاً صار لقوله حجة حتى ولو لم يكن رسولاً لأننا مأمورون بإتباع الحق إن عرفناه.

القرآن الكريم يوجب على المسلمين أن يُطيعوا الرسول صلى الله عليه وسلم

قد وضحنا فيما سبق آيات القرآن العديدة التي توجب على المسلمين أن يتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وهنا نشير بإجمال إليها لتكون زيادة بيان وتأكيد على مكانة السنة في القرآن العظيم:

أدلة القرآن:

.1الإتباع: القرآن يأمرنا أمراً مباشراً بإتباع الرسول، فكيف يحتج التابع بأن قول المتبوع ليس بحجة، (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم)

٢. الطاعة: الله تعالى يأمرنا بطاعة الرسول، فأمر الله لنا بطاعته يجعل لقوله وفعله المتعلق بأمور الشرع حجة ملزمة لنا، (ومن يطع الرسول فقد أطاع الله) النساء (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) النساء.

٣. الإقتداء به في أفعاله المتعلقة بأحكام الشريعة : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) الأحزاب

٤. وجوب الإلزام بأمره ونهيه: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) الحشر

٥. الحكم في موطن الخلاف: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) النساء

٦. مبيناً للشريعة:(وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) النحل.

٧. بشيراً ونذيراً: مبشرا بالثواب ومبينا ماهيته للناس ومحذرا من العقاب ومبينا ماهيته (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا).

السنة مبينة ومفصلة لمجمل القرآن الكريم

علمنا أن الله يقول: **:**(وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) النحل.

ومن خلال هذا نُــدرك قيمة السنة العظيمة ودورها في توضيح وبيان ما أجمل وما أبهم من القرآن الكريم. والأمثلة على ذلك كثيرة كبيان النبي لكيفية الصلاة والحج والزكاة وغيرها .

إلا أننا نعرض مثالًا يوضح جلاء البيان للقرآن الكريم وهو:ما رواه عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: احتلمتُ في ليلةٍ باردةٍ في غزوة ذات السلاسل، فأشفقتُ إنِ اغتسلتُ أن أَهلِكَ، فتيمَّمتُ، ثم صلَّيتُ بأصحابي الصبح، فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: ((يا عمرو، صليتَ بأصحابك وأنت جُنُبٌ؟))

فأخبرتُه بالذي منعني من الاغتسال، وقلتُ: إني سمعتُ الله عز وجل يقول:(وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا) [النساء: ٢٩]، فضحِك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئًا.

فانظر رحمك الله إلى قدر سنة النبي، ومنزلتها عند الله عز وجل.. وتمعّن في قيمتها لفهم القرآن الكريم..

المصادر:

-انظر: دراسات في علوم الحديث للدكتور أبو العلاء علي أبو العلاء .
-فتح الكبير المتعال في علم المصطلح والرجال للدكتور ياسر شحاته.
-تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني.
-منهجية اتباع الرسول، د. صلاح سلطان.

نظرات في شريعة الإسلام.

الجزء الأول:

طبيعة الشريعة الإسلامية تتفق مع طبيعة الإنسان العادية من حيث إحتياجاته الفسيولوجية أو الحياتية المستمرة، فالإنسان يحتاج إلى منهج ونظام يتفق مع رغباته العقلية والغريزية بحيث لا يجور عليه غيره ولا يبغي هو على أحد .. والشريعة الإسلامية حفظت هذا الشعور النقي في الإنسان؛ فجاءت متكاملة لتنير حياته كلها بنظام الخير والوحدة والسعادة.

فإذا جئنا إلى الجهاد في الإسلام وجدناه يحمل كل صور الخير للفرد والمجتمع، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جهاد، وبر الوالدين جهاد، ومخالفة الهوى المنحرف جهاد، وزجر المعتدين على المسالمين جهاد... إلى آخره.

ومن لا يفرق بين الجهاد والقتال فهو مخطئ ؛ فالقتال نوع من أنواع الجهاد وليس هو كل الجهاد . والقتال في الإسلام دفاعي لرد الإعتداء،

وهو قائم على قاعدة قرآنية عظيمة وهي قوله تعالى: " وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إنه لا يحب المعتدين ".
هذه الآية تبين لنا معنى القتال في سبيل الله.

إذا فلماذا قامت الغزوات والسرايا؟

هناك فهم خاطئ عن الجهاد في الإسلام؛ فالبعض يظن أن الجهاد الإسلامي هو اعتداء على المسالمين من غير المسلمين حتى يسلموا ! وهذا خطأ، وللتوضيح نقول:

أولاً: الغزوة كانت بقيادة النبي، وعددها ٢٨ غزوة، قام القتال في ٩ غزوات فقط، و١٩ غزوة حققت أهدافها بدون قتال، واستغرق النبي محمد في جميع غزواته ٧ سنين من بعد الهجرة، وأول غزوة كانت " ودَّان" وآخرهم كانت " تبوك"، الغزوة الاولى كانت في السنة الـ٢هـ، والغزوة الأخيرة كانت في السنة الـ٩هـ.

ثانياً: السَّرايا كانت بقيادة الصحابة، وعددها ٤٧ سريَّة، واستغرقت هذه السرايا ٩ سنين، وعدد قاداتها ٣٧ منهم من قام بسرية واحدة ومنهم من قام بأكثر من سرية.

النبي _صلى الله عليه وسلم_ مأمور بتبليغ الإسلام لكل الناس، فكان يبعث إلى البلاد من يُبلّـغ أهلها من المؤمنين. لكن هناك من وقف سدًا أمام الرسل، لا يريدونهم أن يبلغوا الدعوة للناس، وقاموا بمحاربتهم وآذوهم .. فقامت الغزوات والسرايا لدفع هذا الإعتداء وإفساح الطريق أمام الدعوة لتصل لكل الناس. فهل نسمي هذا ظلماً؟

إن لأي إنسان الحق في الدفاع عن نفسه إذا اعتدى عليه احد، فكيف بالاعتداء على الرسالة المنزلة من الله لتصل لعباده!

مع أن هذه الغزوات والسرايا كان القتلى من المسلمين والمشركين معًا أقل من ٢٠٠٠ قتيل، لأن المسلمون يحافظون على الدماء _قدر الإمكان_ ويعرفون قدرها.

فهل فعلت ذلك الحرب العالمية الأولى أو الثانية؟

حتى في هذه الحرب التي يـعلنها الإسلام على المعتدين، يكون في أعلى صورة للأخلاق والرحمة، فقد كَانَ رَسُولُ اللَّهِ _صلى اللَّه عليه وسلم_ إِذَا بَعَثَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَمَرَهُ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ بِتَقْوَى

اللَّهِ تَعَالَى ، وَمَنْ مَعَهُ وَالْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ، ثُمَّ قَالَ : اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَقَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ ، لِتَغْزُوا وَلا تَغْلُوا وَلا تَغْدُرُوا وَلا تُمَثِّلُوا وَلا تَقْتُلُوا وَلِيدًا ..." .

وهذا أبو بكر الصديق _رضي الله عنه_ وهو خليفة الرسول _صلى الله عليه وسلم_ وقف في جيش أسامة خطيبًا فقال: " أيها الناس، أوصيكم بعشر فاحفظوها عني: لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلًا صغيرًا ولا شيخًا كبيرًا ولا امرأة، ولا تعقروا نخلًا ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرًا إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له ... ".

وعندما هزم المسلمون أعدائهم قال الرسول لهم: ما تقولون وما تظنون أني فاعل بكم ؟ قالوا : نقول : ابن أخ ، وابن عم ، حليم ، رحيم. فقال رسول الله _صلى الله عليه وآله وسلم_ : أقول كما قال يوسف : (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين). فخرجوا كأنما نشروا من القبور ، فدخلوا في الإسلام . والإسلام مع

المتهمين يقول: (فكوا العاني، وأطعموا الجائع، وعُودوا المريض)، العاني: أي الأسير .

هذه هي أخلاق الإسلام مع الأعداء ، هل فعل مثل هذا _مثلًا_ الاحتلال الصهيوني على أهل فلسطين أصحاب الأرض المحتلة؟!

والجزية في الإسلام للحماية والمنعة، وليست للقهر والغلبة، ولذلك رد خالد ابن الوليد على أهل حمص أموالهم وقال لهم : إنّـا قد اخذنا منكم الأموال على أن نحميكم ، ونحن الآن عاجزون عن حمايتكم ؛ فهذه أموالكم نردها إليكم. فالجزية كالضريبة التي يدفعها كل مواطن للدولة، والصِغار في الآية معناه: الخضوع والإلتزام لأوامر الدولة.

وإذا جئنا إلى ما حرمه الله وجدناه حرم كل ما يؤذي الإنسان ويقلل من إنسانيته. قال تعالى: "قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ
وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ".

واذا جئنا إلى المرأة نجد أنها سُلبت كرامتها في كل عصر قبل الإسلام، فكان الناس يعتقدون أنها خلقت لخدمة رغبات الرجل.. وكان العرب قبل الإسلام يدفن بناتهن وهن أحياء خوفا من العار حسب فكرهم!

المرأة كانت مُهانة قبل الإسلام وغير مُصانة فجاء الإسلام فأعلى من قيمتها وحررها من القيود التي تقيدها. قال تعالى عنها:

(وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ)
(أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ)
(لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ)
(إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) إلى آخِر الآية (أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا).

وقد وردت عدة أحاديث نبوية شريفة تدل بكل وضوح إلى تكريم المرأة في الإسلام ومنها: قول الرسول _صلى الله عليه وسلم_: (أكمل المؤمنين إيمانا احسنهم خلقا وخياركم لنسائهم)، (إنما النساء شقائق الرجال)، (خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي ،ما أكرم النساء إلا كريم، ولا أهانهن إلا لئيم) ،(لا يَفُرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضي منها آخر) ومعنى لا يفرك مؤمن مؤمنة أي: لا يبغضها، لأنه يتنافى مع حسن العشرة . وقال أيضاً: إنما النساء شقائق الرجال.

كما أنه في الميراث تأخذ نصف الرجل في أربع حالات فقط، وتأخذ في ثلاثين حالة أكثر من الرجل أو ترث ولا يرث الرجل.. والرجال مكلفون بالنفقة على النساء. فهل هناك اهتمام بالمرأة عند أحد كهذا ؟

ولما كانت المعرفة هي العنصر الأساسي لقيام الحضارة وارتقائها ، أمر الإسلام بها وبيّن أنه لا بد أن تكون هذه المعرفة معرفة صحيحة هادفة ، ولا بد أن تقوم على أساس سليم ، وهذا الأساس السليم هو الذي يضبط معرفتنا وتفكيرنا فلا نحيد في المعرفة عن الصواب ولا ندعي مُحال ، ولا نفتخر برذيلة أو نتمناها .. ولأجل هذا كان واجب على من يسعى للمعرفة أن يعتقد اعتقادا لا شك فيه أن الحضارة إذا قامت فلن يكتمل طريق لها في الرقي والتقدم إلا من خلال منهج

مرسوم معلوم مضبوط ، فلا بد من استحضار وجهة السير قبل الشروع في أي عمل.

ولذلك كانت الحضارة الإسلامية أعظم الحضارات وأقواها حينما وجدت، وذلك لوجود الاعتقاد الصحيح الذي أعتنقه واعتقده الصحابة من رسول الله _صلى الله عليه وسلم _ فصنعوا بيئة صالحة من اعتقادهم السليم .

الجزء الثاني:

كما دعى إلى إعمال الفكر وعدم التسليم لشيء إلا بالأدلة والبراهين، فقال: "قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين " . وكثيرا ما يقول " أفلا ينظرون" ، " أفلا يتدبرون" ، مُشيراً إلى فضل التفكير ومنزلته.

يقول الشيخ محمد أبو زهرة: " ان الإسلام دين العقل ، فما من أمر جاء به إلا كان موافقا للعقل يدركه ويصدقه . . سئل أعرابي : لماذا آمنت بمحمد ؟ فقال : ما رأيت محمدا يقول في أمر : افعل ، والعقل يقول : لا تفعل ، وما رأيت محمدا يقول في أمر : لا تفعل ، والعقل يقول : افعل . . . وإن النظم التي سنها الإسلام لا تزال برونقها وصفائها أعدل من كل ما اهتدى إليه العقل البشري من نظم ، سواء

أكان ذلك في نظام الحكم ، أم في نظام المال ، أم في نظام الأسرة . . . فالإسلام هو الدين الوحيد الذي يصلح لحكم الإنسانية ، وفيه علاج أدوائها " .

والحدود إذا نظرنا فيها علمنا أنها من باب خطاب الوضع والواقع لا من باب التكليف، بمعنى: أنه يلزم لتطبيق الحدود أن تتحقق شروطها قبل إقامة الحد، والدليل على ذلك عمر بن الخطاب لم يقم حد السرقة عامين. لماذا؟ لوجود مجاعة، فلا يتوفر للناس ما يكفيهم عن أن يسرقوا، فكيف سيقطع أيديهم؟ هكذا يكون ظلم!
لذلك كانت الحدود تطهيرًا للمجتمعات من كل ما يؤدي إلى انتشار الفساد والإنحلال.. لأنه دين فطري أخلاقي.

هل يدعو الإسلام إلى الإصلاح ؟

الإسلام لم يأتِ لينحصر في الشعائر التعبدية فقط، ولا ليدعو الناس إلى الخلوة والعزلة.. وإن كان هذا مما دعى إليه الإسلام، لكن الذين يحصرونه في هذا الجانب فقط لا يعرفون طبيعة هذا الدين.

الإسلام لا يدعو لإصلاح نفس الإنسان فقط؛ بل يأمر بالإصلاح في كل جوانب الحياة، الإسلام يدعو للإصلاح العملي أكثر من الأقوال، وزمننا هذا أحوج ما يكون للعمل أكثر من الوعظ !

وقد صدق الدكتور علي الوردي حين قال : " اننا لا نستطيع إصلاح أخلاق أحوال الناس عن طريق المواعظ والنصائح علي منوال ما كان يفعل القدماء. ان الأخلاق وليدة الظروف الإجتماعية التي تحيط بها.وما لم تتغير تلك الظروف فإننا لا نأمل ان تتغير الأخلاق كما نهوي . وبهذا يصدق قول القائل: غير معيشة المرء تتغير أخلاقه " .

فالإسلام يحارب الإستبداد في أنظمة الدولة ومؤسساتها لأنه يخلق الإنحطاط في كل جانب من جوانب الحياة..

وبلاد المسلمين دليل حي على هذا الكلام، فإننا نشاهد الخمول والفساد والظلم والإنحطاط الأخلاقي والإجتماعي ملأ بلاد المسلمين، ولم يعد فكر ولا تقدم ولا علم .. مقارنة بالماضي. هذا كله بسبب الإستبداد الذي يُخضع رقاب الناس لأوامره فيكذبون من أجله ويظلمون ويسرقون ويخونون من أجله.. فتنهار المجتمعات !

ودعى الإسلام إلى الوحدة والإعتصام فقال : "واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا" ، "ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شئ".

كما أن الإسلام لم يحارب أصحاب الديانات المخالفة له ماداموا مسالمين لا يأذونهم قال تعالي: "لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ".

وهاك ما حدث عندما سرق رجل من المسلمين _من إحدى قبائل الأنصار من بني أُبيرق بن ظفر بن الحارث _ درعًا من جارٍ له مسلم يقال له: "قتادة بن النعمان"، وكانت الدرع في جراب فيه دقيق، فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى إلى الدار، ثم خبأها عند رجل من اليهود يقال له: "زيد بن السمين"، فالتُمِسَتِ الدرع عند "طعمة" فحلف بالله ما أخذها، فقال أصحاب الدرع: لقد رأينا أثر الدقيق في داخل داره. فلمَّا حلف تركوه، واتبعوا أثر الدقيق إلى منزل اليهودي، فوجدوا الدرع عنده، فقال اليهودي: دفعها إليَّ طعمة بن أُبيرق! فجاء بنو ظفر -وهم قوم طعمة- إلى رسول الله -صلى الله عليه

وسلم-، وسألوه أن يجادل عن صاحبهم، فهَمَّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يعاقب اليهودي، فأنزل الله –تعالى- هذه الآيات من سورة النساء: {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا * وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا * وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا} إلى قوله تعالى: {وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا} .

يقول الشعراوي: لقد اعتقد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن السارق هو اليهودي لوجود القرائن ضدَّه، ولكنَّ الوحي نزل بخلاف ذلك؛ فلم يكتم -صلى الله عليه وسلم- شيئًا -وحاشاه- بل قام وأعلن بوضوح وصراحة أن اليهودي بريء، وأن السارق مسلم!

وليس الأمر هَيِّنًا!

إن التبرئة تأتي في حقِّ يهودي اجتمع قومه من اليهود على تكذيب الإسلام والكيد له، والطعن في رسوله -صلى الله عليه وسلم-، وبثِّ الفرقة بين أتباعه.. ومع ذلك فكلُّ هذه السلبيات والخلفيات لا تُبَرِّر اتهام يهودي بغير حقٍّ.

وقال صلى الله عليه وسلم: "أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوْ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ".

وعندما فتح عمرو بن العاص مصر عامل أهلها بكل عدل وسماحة وكتب النصارى شاهدة بذلك.

يقول المؤرخ المسيحي اسكندر صيفي: {وكانت شروط عمرو مع المقوقس زعيم القبط على أن تكون للقبط الحرية المطلقة بدينهم ، وعليهم جزية ذهبين عن كل رجل}.

ويقول المؤرخ القمص أنطونيوس الأنطوني: {وبالجملة فإن القبط نالوا في أيام عمرو بن العاص راحةً لم يروها منذ زمان... ومما هو جدير بالذكر أن عمرو بن العاص رَدَّ إلى البابا بنيامين الكنائس التي كان استولى عليها الروم}.

ويقول المؤرخ الدكتور عزيز سوريال عطية: {أما العرب فقد أتوا لتحرير القبط من هذه الأغلال البيزنطية إذا كان موقفُهم من أهل الكتاب أو أهل الذمة موقفا كريما وسمحا تأكدت فحواه من واقع العهد العمري الذي كفل للأقباط حريتَهم الدينية بشكل لم ينعموا به أبدا تحت النَيْرِ البيزنطي}.

فهذه حقيقة عرفها التاريخ، فالإسلام سماحة، وعدل، وحب، ووحدة، وعمل لخدمة الوطن ومواطنيه.

وكان الفتح تحقيقا لموعود رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ كما رواه مسلم في صحيحه عن أبي ذر قال رسول الله صلى الله عليه و سلم {إنكم ستفتحون مصر وهي أرض يُسمى فيها القيراط فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحما} .

عندما تجسدت هذه النظرة المنتظمة للشريعة الإسلامية في واقع الإنسان خلقت أرقى حياة تصلح لأن تكون وطنًا للإنسان.
فلو صح أن يُــقال على التطور المادي في الغرب حــضارة ؛ فــالحق أن الإسلام عندما حكم أوجد حضارة وصنع نهضة مادية عظيمة كبيرة، وزاد عليها بــ" الرُقــي الأخلاقي " الذي تفقدة دول الغرب المتطورة الآن ، والأندلس مثال على ذلك.
ليس الإستحداث من المادة أشياء لم تستحدث من قبل ولم يعرف الناس مثلها.. ليس هذا دليلا على التقدم، إنما التقدم الحقيقي في تسخير هذه المصنوعات والإبتكارات في الإرتقاء بالبشرية، والاستعلاء بالقيمة

الإنسانية، وخدمة الإنسان وتلبية احتياجاته ومستلزماته. فليست طائرة من أحدث الطائرات بها إمكانيات لم تكن في غيرها.. ليست هذه الطائرة علامة على الحضارة والتقدم إلا إذا خدمة الإنسان ولم تقتله!. فمن حارب الإنسان وأهان الإنسانية فـــهو في جاهلية وإن تقدم في المادية!

المصادر:

١_(الرسول القائد. قادة النبي. تاريخ جيش النبي، اللواء الركن محمود شيت خطاب).

٢_ (تاريخ الطبري) .

٣_ (المجتمع الإنساني في ظل الإسلام، محمد ابو زهرة).

٤_ (الأخلاق، الدكتور علي الوردي).

٥_ _تفسير الشعراوي).

٦_ (سنن أبو داوُد).

٧_ (وطنية الكنيسة القبطية وتاريخها، القمص أنطونيوس الأنطوني).

٨_ (المنارة التاريخية في مصر الوثنية والمسيحية، المؤرخ المسيحي اسكندر صيفي).

٩_ (تاريخ المسيحية الشرقية، المؤرخ الدكتور عزيز سوريال عطية).

نظرة مختلفة إلى القرآن والحديث.

هل القرآن حمال أوجه ؟

القرآن ليس حمال أوجه ، بمعنى أن ترد فيه الآية حاملة حكمًا معينًا، وتأتي آية أخرى تخالفها في نفس المعنى ونفس الحكم ، (ترى فيه الرأي ونقيضه أو إثبات المبدأ وعكسه) . فهذا الفهم خاطئ وغير صحيح ، فالله قال: " كتاب أحكمت آياته ثم فصلت " . فالقرآن مُحكمة آياته ثم فصلت ،أي: بُيّنت. وقال: " الله نزل أحسن الحديث كتابا ...".

فكلام الله عز وجل أحسن الكلام وأحسن الحديث، نُــخاطب الناس به ، نجعله مقدماً على أي كلام .. لأنه أحسن الكلام . فكيف يقول قائل لا تخاطبوا الناس بالقرآن ؟

مع افتراض حسن النية لمن قال هذا من المسلمين فإن المقصود من قولهم " القرآن حمال أوجه " هو أن فيه بعض الآيات التي وضعت لعدة معان، والمعنى المراد من هذه الآيات يدل عليه "السياق" .

فسياق الآية هو الذي يحدد معنى "الكلمة" التي لها أكثر من مدلول، وهذا ليس بعجيب، فهو من أساليب العربية .

وإن كان الأخير صحيحاً ؛ إلا أنه لا يصح على إطلاقه (أعني: القرآن حمال أوجه) ، بل بعض الكلمات في القرآن وليس القرآن ككل .

فالقرآن }كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير{
أحكمت آياته، فجاءت قوية البناء، دقيقة الدلالة، كل كلمة فيها وكل عبارة مقصودة، وكل معنى فيها وكل توجيه مطلوب، وكل إيماءة وكل إشارة ذات هدف معلوم. متناسقة لا اختلاف بينها ولا تضارب، ومنسقة ذات نظام واحد. ثم فصلت. فهي مقسمة وفق أغراضها، مبوبة وفق موضوعاتها، وكل منها له حيز بمقدار ما يقتضيه.
أما من أحكمها، ومن فصلها على هذا النحو الدقيق؟ فهو الله سبحانه، وليس هو الرسول: {من لدن حكيم خبير}..
يحكم الكتاب عن حكمة، ويفصله عن خبرة.. هكذا جاءت من لدنه، على النحو الذي أنزل على الرسول، لا تغيير فيها ولا تبديل.

أما الغلاة الذين جهلوا النصوص فاحتجاجهم باطل ، لأنهم جاءوا بآيات نزلت في غير المسلمين فوضعوها في المسلمين .. وهذا فهم مُحرف ليس بسليم، ولا يستقيم مع أصول الدين ومقاصدة السمحة .

ان الطاعنين في هذا الدين لا يأتونه من مصدره المُحكم المهيمن على غيره وهو "القرآن"، إنهم ادركوا عجزهم أمامه فذهبوا إلى الأحاديث الموضوعة والمكذوبة يحتجون بها ، وأيضا يحتجون على الإسلام بأفعال المسلمين غير الملتزمين !

ولو أنهم جاءوا إلى "القرآن" بقلب الباحث عن الحق لوصلوا إلى أسراره وما زادهم إلا إيمانًا وتسليما.

ان رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ نزل عليه القرآن فكانت سنته هي تطبيقه للقرآن، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يخالف القرآن كما يظن البعض من بعض الأحاديث الضعيفة المنسوبة إليه!؛ وإنما النبي كان مطبقا للقرآن ، وما جاء مخالف ومناقض لهذا القرآن فهو الباطل الذي لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ولم يأمر به .. ولو نُـــسب اليه .

وان قال قائل: ان النبي صلى الله عليه وسلم هو من بيَّن كيفية الصلاة والحج ومقدار الزكاة .. ولم يتكلم القرآن عنها.. فهل هذا باطل؟

قلنا: هذا كذب على الله وعلى رسول الله. فـالقرآن فرض الصلاة والحج والزكاة ، قال تعالى:"وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ".
وقال تعالي: "وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ".

والنبي صلى الله عليه وسلم فصل هذا وبين هذه العبادات للناس لقوله تعالى: " وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ".

فالنبي مُبين مفصل لكتاب الله.

والصلاة والحج والزكاة ... ذكرها القرآن إجمالاً والنبي فصلها، فلا إشكال هنا أصلاً؛ بل إن النبي متبع للقران مبينا عملياً الكيفية للمجمل.
ويجب أن ننبه على أنه لا خلاف في السنة الفعلية أبدا بين المسلمين، إنما الخلاف واقع بين السنة القولية (الأحاديث المنسوبة للنبي)، فالحق فيها قبولها إن لم تخالف ما قرره القرآن فإن خالفت كانت من الأكاذيب على النبي والراوي لها بشر يصيب ويخطئ . وهي قليلة ليست بالكثيرة في كتب السنن.

ويقول الشيخ الفقيه محمد أبو زهرة في هذا الصدد: "ولا نتهجم بذلك على حديث لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فهو الحكمة كلها كما قال ذلك الإمام الشافعي، فقد فسر الحكمة في قوله تعالى: (وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ. . .)، بأن الحكمة هي سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فإذا رددنا منها ما يخالف القرآن فنحن نرد ما يجعلها فوق القرآن، وبالأحرى يكون ذلك تمحيصًا للسنة، وتبيينًا لصحيحها من سقيمها، إن عبارات القرآن التي هي نص في دلالتها، ومعانيها، فيها تنزيه لرسالة محمد - صلى الله عليه وسلم -، وتنزيه للبعث المحمدي، فإنما ندفع الريب عن الرسول - صلى الله عليه وسلم -، ولا نتهجم عليه ولا على حكمته، كتلك الآثار التي توهم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - سُحِرَ، وكتلك الأخبار الكاذبة التي تقول إن محمدًا - صلى الله عليه وسلم - قال عن اللات والعزى ومناة الثالثة الأُخرى: تلك الغرانيق العلا، وإن شفاعتهن لترتجى. إنا نرد هذا وأشباهه تنزيها للرسالة المحمدية الإلهية، مهما يكن راويها من الثقة، ونعدها عليه، وليس بمنزه عن الخطأ والنسيان، ودخول الغلط عليه، وأخشى أن أقول إن من يعتقد ذلك يكون كأهل الجاهلية الذين قالوا: (إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا).. وإذا كان اليهود عجزوا عجزا مطلقا عن أن يعبثوا

بالقرآن كما عبثوا بغيره، فإنهم أتوه من ناحية تفسيره، ولكن ذلك لَا يَمَسُه، بل يَمَسُّ العقول التي لَا تمحِّص ولا تدرك، ولا تحكم بقرآن، ومقاييس العقل؛ ولذلك بقي النبع الإلهي الصافي يدركه من يتأمل ما أحيط به فينبذ الزيف، ويدرك الجوهر الصافي".

فنحن لا نرد سنة رسول الله ؛ إنما نرد الدخيل عليها .
وهذا الدخيل على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من سماته: تناقضه مع الأصول الثابتة الواضحة التي قررها الإسلام، ومخالفته العقل الصريح .

كما أن أئمة الحديث إذا وجدوا معنى الحديث مناقضا للثابت في القرآن، أو لغيره من الأحاديث الأثبت والأشهر، بحيث لا يمكن الجمع بينهما بحال، حكموا بأنه حديث منكر شاذ لا يصح، ولو كان إسناده صحيحا .

ولا يظن أننا نتهم رواة الأحاديث بالكذب على رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ ! ؛ فهم أئمة المسلمين الذين أفنوا عمرهم في خدمة الإسلام والمسلمين ، إنما نظن فيهم خيراً ، ولكن نعتقد أن ما خالف

القرآن مما هو منسوب للرسول _صلى الله عليه وسلم_ في كتب الأحاديث إنما هو " مدسوس " على رواة الأحاديث وعلى رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ فأهل الباطل لم ولن يسكينوا عن مُحاربة المسلمين في عقائدهم وفي كتبهم.. ، ونحمد الله أن حفظ لنا القرآن الكريم { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } .

ولا يعني هذا أيضا إنكار كل حديث يوحي ظاهره مخالفة القرآن دون البحث والتدقيق والمعرفة الصحيحة السليمة لمعنى الحديث، ومع مراعاة الزمان والمكان ، فلا ينكر الأحاديث جملة بدون دراستها إلا جاهل بالقرآن ، فلا بد من دراسة الأحاديث قبل الحكم عليها .

وأكثر الأحاديث التي أخذها بعض الجهلة على أنها تخالف القرآن هي أحاديث صحيحة ، لكن المشكلة في تلك العقول التي تحكم على الأحاديث بظاهرها ولا تراعي الزمان والمكان .

فمثلاً حديث "من بدل دينه فاقتلوه" عام مطلق ، والعام يرجع للمقيد في الأحاديث ، وقيده حديث عَنْ اِبْنِ مَسْعُودٍ - رضى الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -{ لَا يَحِلُّ دَمُ اِمْرِئٍ مُسْلِمٍ؛ يَشْهَدُ

أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اَللَّهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: اَلثَّيِّبُ اَلزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ؛ اَلْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ } مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وهذا الحديث شرحه حديث رواه ابو داوود عن عَائِشَةَ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهَا، عَنْ رَسُولِ اَللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -قَالَ: { لَا يَحِلُّ قَتْلُ مُسْلِمٍ إِلَّا فِي إِحْدَى ثَلَاثِ خِصَالٍ: زَانٍ مُحْصَنٌ فَيُرْجَمُ، وَرَجُلٌ يَقْتُلُ مُسْلِمًا مُتَعَمِّدًا فَيُقْتَلُ، وَرَجُلٌ يَخْرُجُ مِنْ اَلْإِسْلَامِ فَيُحَارِبُ اَللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَيُقْتَلُ، أَوْ يُصْلَبُ، أَوْ يُنْفَى مِنْ اَلْأَرْضِ}. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيُّ، وَصَحَّحَهُ اَلْحَاكِمُ .

فاتضح أن القتل _حد الردة_ ليس لمجرد ترك الإسلام ،والله يقول: (وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ...)، إنما لترك الإسلام ومحاربة أهله ، وإلا لما لزم أن يقول الرسول في الحديث الأول (المفارق للجماعة) وكان قال (التارك لدينه) وسكت ، فتبين أن القتل هو لمن ترك الإسلام ليحاربه .

وقال تعالي: (كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ، اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ

أَوْلِيَاءَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ) ، وقال: (وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ).

فــرسول الله _صلى الله عليه وسلم_ لا يُشرِع من تلقاء نفسه ولا يأتي بشيء مخالف للقرآن ، بل الله عز وجل هو الــمُــشرع لرسوله (وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ).
ويبقى القرأن مهيمنا على كل شيء ، وبه العدل وفيه الهداية {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ}.

ومما يدل على أن القرآن أصل هذا الدين الذي وضع القواعد والأصول والتشريعات: نــهي النبي صلى الله عليه وسلم عن كتابة السنة ثم إباحته بكتابتها. وقد حاول علماء الحديث التوفيق بين النهي والإباحة ،فقالوا: أن النهي كان لكي لا ينشغل الناس بالسنة عن القرآن ،كما ان النهي كان لخشية اختلاط السنة بالقرآن ... وهذا يدل على أن القرآن هو الأصل والأساس في هذا الدين حيثُ نــهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كتابة السنة لكي لا ينشغل الناس بالسنة عن القرآن ، وهذا يدل على أهمية القرآن ، ولو أن السنة أصلًا مع القرآن في وضع القواعد والأحكام العامة الثابتة لما نهى النبي عن كتابتها أبدا.

وقد ذهب كثير من علماء المسلمين إلى الأخذ بالأحاديث التي ظاهرها التعارض والتناقض ولكنهم استعملوا مع مثل هذه الأحاديث منهج "التأويل" ، فردوا أمثال هذه النصوص للمحكم في الدين مؤولين إياها .. وهم هنا كمن نفى الأحاديث بسبب ظن التعارض والتناقض لأن كلاهما متفق على نفي النقص ، فمن هذه الناحية إتفاق بين المسلمين على التنزية ونفي التناقض ، وإن وجد اختلاف فهو قليل وهو بسبب سوء الفهم للتعبير .

المصادر:

١_ (إزالة الأوهام).

٢_ (تفسير الشيخ محمد أبوزهرة).

٣_ (في ظلال القرآن، الأستاذ سيد قطب) .

وهل الدين إلَّا الحُب؟

بهذا العنوان ألف أستاذ الدراسات العليا في المعهد الشرعي الإسلامي في بيروت، فضيلة الشيخ حسين أحمد الخشن كتابه، يُحاول المؤلف فيه أن يسلط الضوء على "قيمة الحب" في الإسلام الحنيف، وذلك من خلال ثمانية محاور أساسية: "دور الحُب في الحياة، دور الحُب في العلاقة مع الله، دور الحُب في العلاقة مع أولياء الله، دور الحُب في الخطاب الديني، دور الحُب في عاشوراء، الحُب بين الحلال والحرام، الدين بين ثقافتَي الحُب والحقد، الإسلام وثقافة الأمل".

يُحاول المؤلف أن يُبيِّن كيف أن الإسلام أعطى الحب منزلة رفيعة ومكانة عظيمة، ليس حبًّا بين المسلمين وحدهم؛ وإنما هو الحب للوجود الإنساني كله. وما أعظم هذا المنوال في التفكير والتأليف. إن هذا الكتاب بحق كنز للمُحبين!

يُبيِّن المؤلف أن الـحُب من العواطف الإنسانية المصبوغة في الإنسان فطرة وروحًا، إذ نراه يقول:

"إنَّ عاطفة الحُب هي التي تعطي الإنسان معنى إنسانيَّته، لأن الإنسان بدون حُب هو صخرة صمَّاء، ولا يمكن أن نرى في هذه

العاطفة من حيث المبدأ شيئًا سلبيًّا، وهكذا هو الحال في كلِّ العواطف والغرائز التي أودعها الله فينا وفَطَرَنا عليها".

ويسير المؤلف موضحًا الدوافع الخيِّرة الناتجة من هذا الحُب الطاهر؛ فالحب هو ما يدفع الإنسان للعلوم والاكتشافات المختلفة، والحب هو سياج العلاقة الأسرية والزوجية السعيدة، والحب هو مؤسس المودة بين جميع الناس، والحب هو من يدفع الحاكم للصلاح والإصلاح "إنَّ الحاكم عندما يحبُّ الناس سيكون ذلك أدعى لأن يعدل بينهم ويعطي كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، ويهتم لأمورهم، ويسهر على متابعة مشاكلهم وإيجاد الحلول اللازمة لمعاناتهم، والتفكير في أفضل السبل لإسعادهم. وأما إذا لم ينبض قلبه بحب الناس، فلن يهتمَّ بهم، ولن تعنيه أوجاعهم شيئًا، ولن يصغي إلى شكايتهم).

ثم يقف المؤلف وقفة جميلة يوضح فيها الدور العظيم الذي يلعبه الحُـبُّ في الإيمان وفي بناء العقيدة، "ذلك أنَّ الحُبَّ كما هو محور الحياة ومحرِّكها، فإنه يندرج في صُلْب العقيدة الإسلامية الصحيحة، فالعقيدة لا تُبنى على الحقد ولا الكراهية، ولا على الانفعالات، وإنَّما تبنى على قاعدة متينة".
فكما أن الله، عز وجل، هو ملهم الحُب ومصدره الأول، فقد اشتق

لنفسه اسمًا منه، فهو الودود، وهو الرحمان الرحيم. حبه، عز وجل، لعباده حب ليس كالمعهود بين بني البشر "فحتى لو تمرَّدنا عليه وعصيناه فإنَّه لا يقطع حُبَّه عنَّا ولا يمنعنا فيضه، ولا يقابلنا أو يعاملنا بما نستحق، بل إننا حتى لو قابلناه بالعصيان فإنه يظلُّ يقابلنا باللطف والنِّعم، إنه تعالى يحبنا حتى ونحن نعصيه، أليس هو القائل: "إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين" فمن هو التواب؟ إنّه العاصي المذنب الذي يُكْثِرُ من الذنب ومن العودة إلى ربّه".

ثم يبيّن المؤلف – البارع- المظاهر العامة لحُب الله، عز وجل، لعباده فيوضح أولًا: أن "كلُّ ما في هذا الكون من جمال وروعة وإبداع وحُبّ، إنَّما هو رشحة من فيض حُبِّه وجماله الذي لا ينضب، إن كل هذا العطاء التكويني والنِّعَم التي لا تُعَد ولا تُحصى، وكلّ هذا الجمال الذي لا تحيط به الباصرة هو تعبير عن حُبّه لنا ولطفه بنا، إذ سخَّر لنا كلَّ هذا وهيَّأه لراحتنا لا لحاجة منه إلينا بل حبًا بنا، ووعدنا بالمزيد"، "وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها".

ثانيًا: إن إرسال الرسل وإنزال الكتب لهداية الناس من حبه، تعالى، لخلقه وعباده "فإنّ وظيفة الرسل أن يأخذوا بيد النَّاس إلى شاطئ الأمان ويستنقذوهم من براثن الجهالة والضلالة والوثنية، ولهذه الغاية

فقد حرَّكوا العقول التي أصابها الصدأ، وهزّوا مكامن الفطرة التي أصابها التلوّث. فالأنبياء – عليهم السلام- هم رُسُل العدل والحُبّ والسلام، وليسوا رسل الكراهيّة ولا دعاة حرب أو سفك دماء".

ثالثًا: خلق الجنة والنار من فيض حبه، تعالى، لعباده، فكما أن الجنة أعدت جزاءً للصالحين على طاعتهم، فكذلك النار قد خلقها الله، عز وجل، ليُهذب بها عباده ويُصلحهم فـ"الله سبحانه لم يخلق النار للتشفّي من خلقه، ولا للانتقام منهم، فهو غنيّ عن عذابهم، بل لتكون رادعًا لهم عن البغي والعدوان، وزاجرًا لهم عن الإثم والعصيان، وليحملهم من خلال ذلك على سلوك طريق الهدى والمكارم ويأخذ بأيديهم إلى الكمال المطلق، وهذا منتهى الحُبّ، أليس حُبُّك لابنك هو الذي قد يدفعك لأن تقسوَ عليه أحيانًا، أو تهدّده بالعقاب، لِتُشعرَه بالمسؤوليّة وتأخذ بيده إلى طريق المكارم؟ إنّ كثرة "الدلال والغنج" تُفسد الطفل، وهي خطأ تربويٌّ دون أدنى شكّ.

هكذا هو الله ربُّنا تعالى، بل هو فوق ذلك وأسمى منه، فهو أرأفُ بنا من الأب بابنه، ومن الأم برضيعها، فهو خَلَقَ النار، لا لأنّه يحبُّ تعذيبنا حاشاه، بل خَلَقَها بهدف إصلاحنا والحدِّ من عدوانيتنا وظُلْمِنا، لأنّ في الناس من لا يصلحه إلاّ التخويف، قال تعالى: "لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ

ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ ۚ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ".

رابعًا: فتح باب التوبة والرجوع إلى الله مظهر جميل من مظاهر الحب الإلهي للناس "فهو عز وجل لا ينتقم من العصاة من عباده على طريقة الناس في التشفي وشفاء الغيظ، ولا يعجّل لهم العذاب، ولا يعاملهم بما يستحقون من الملامة، بل إنّه يمهلهم ويؤخّرهم ويُبْقِي باب التوبة مفتوحًا أمامهم حتى آخر لحظات العمر".

خامسًا: ثواب الحُبّ. "فمن أبرز وأجمل مظاهر حُبّ الله تعالى لعباده ولطفه بهم ورحمته لهم، أنّه تعالى يمنحهم الثواب على مجرّد الحُبّ، فمن أحبّ عمل الخير لكنّه لم يستطع القيام به بسبب عجز أو فقر أو إكراه أو غير ذلك من الأسباب، فإنّ الله تعالى يعطيه ثواب ذلك العمل على نيّته وحُبّه. إنّها رحمة الله الواسعة ولطفه الذي لا يُحدّ ولا يوصف."!

مع كل هذا الحب من الله، عز وجل، لعباده فإن هناك مشكلة وسؤالًا يثير العقول وهو: لماذا خلق الله العاصي وهو يعلم بعاقبته؟!

يُحاول المؤلف الإجابة عن هذا التساؤل ويقول: إنّه تعالى إذ خلقنا فقد أحسن إلينا، لأنّ الوجود خيرٌ محض، وعلمه بأننا سنكون من أهل المعصية والتمرّد لا ينافي عدله ولا حكمته إطلاقًا، لأنّ المفروض أنّه خلقنا وأعطانا حرية الاختيار وهدانا لما فيه مصلحتنا، ولم يجبرنا على معصيته، فإن عصيناه فبإرادتنا وسوء اختيارنا، وإن أطعناه فبإرادتنا وحسن اختيارنا، فليس في خلقه إيانا مع علمه بأننا سنختار طريق المعصية أي ظلم لنا، بل نحن من ظلمنا أنفسنا.

ثم يوضح المؤلف الخطوات التي من خلالها يصل العبد لمحبة الله، فيبدأها بالسير في طريق الله، واتباع رسله، والعمل على كل ما يجلب محبة الله من خلال الخير والحب المبذول للناس. ثم مجاهدة النفس عن المعاصي والكراهية والحقد، والعمل على ترويضها بالتقوى. ثم التأمل في آيات جماله وجلاله. والصبر والثبات على طريق المحبة والخير.

والحب الصادق هو ما قرن بالعمل والتفاؤل، ولم يكن لليأس ملجأ معه في شخصية الإنسان "إنّ على الإنسان الذي يعيش اليأس من رحمة الله ومغفرته نتيجة ارتكابه لبعض الذنوب والمعاصي، أن يعلم أنّه لا مبرر ليأسه هذا، لأنّ رحمة الله أوسع منا ومن ذنوبنا، ولا يقف أمامها

ذنبٌ ولا يتعاظمها معصية، فهو يغفر الذنوب جميعها مهما عظمت وتكاثرت.

ولنتأمل مليًّا في هذا المقطع الرائع من دعاء الإمام زين العابدين – عليه السلام – وسوف نكتشف من هذا المقطع عظيم مغفرة الله تعالى، وتفاهة ذنوبِنا في جنب عفوه، وحقارة أعمالنا في جنب نعمه وكرمه: "يا حبيب من تحبب إليك! ويا قرّة عين من لاذ بك وانقطع إليك! أنت المحسن ونحن المسيئون، فتجاوز يا رب عن قبيح ما عندنا بجميل ما عندك، وأيّ جهل يا ربّ لا يسعه جودك، أو أيّ زمان أطول من أناتك، وما قدر أعمالنا في جنب نعمك، وكيف نستكثر أعمالًا نقابل بها كرمك! بل كيف يضيق على المذنبين ما وسعهم من رحمتك! يا واسع المغفرة يا باسط اليدين بالرحمة، فوعزتك يا سيّدي لو نهرتني ما برحت من بابك ولا كففت عن تملقك، لما انتهى إليّ من المعرفة بجودك وكرمك، وأنت الفاعل لما تشاء تعذب من تشاء بما تشاء كيف تشاء، وترحم من تشاء بما تشاء كيف تشاء".

ثم يدعو المؤلف في ختام كتابه بالتفاؤل والعمل الذي يحمل الحب والخير في الحياة فيقول "رغم العتمة والظلمة المنتشرة من حولنا لن نسمح لليأس أن يتسرّب إلى نفوسنا ليصيبنا بالإحباط، بل سوف يبقى

الأمل رائدنا يملأ قلوبنا بحبّ الخير، ويثير فينا الفكرة المبدعة والعاطفة الصادقة، ويحرّك خطانا نحو الأفضل، لنضيء شمعة هنا ونزرع وردة هناك ،ونواسي مظلومًا هنالك. سنبقى نحلم بالعدل القادم وننتظره انتظار العاملين وليس انتظار الاتكاليين أو الكسالى، انتظار الفلاح للشمس التي تُشرق على الزّرع الذي بذره بيمناه، وانتظاره للمطر الذي يروي الأغراس التي غرسها بساعده".

إن هذا الكتاب يعد غرسًا جميلًا في تعميق الحب في قلب الإنسان، فينصلح سلوكه، فينعكس الحُـبّ منه بين الناس؛ حتى يصير المجتمع عادلًا مُـحبًّا يبُث الخير للعالمين.

يا باغي الخير أقبل!

يا قومنا أجيبوا داعي الله

"وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا ۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ، قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ، يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ"

هذه الآية توضح لنا أن رسالة النبي _صلى الله عليه وسلم_ للإنس والجن كافة بدليل أن الله صرف له الجن وآمنوا به ..

فقد جاء النبي _صلى الله عليه وسلم_ مصطحبًا صحابي فخط له خط وقال له: لا تتجاوزه. وظهر أحد الجن فتلى النبي _صلى الله عليه وسلم_ القرآن عليهم فرجعوا إلى قومهم مُنذرين لهم "أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ" (النبي)

"فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا "

حضروه أي شاهدوه بقلوبهم واستحضروا معانيه وتأثروا به حتى قالوا لبعضهم بعضًا "أنصتوا". فهم الجن مقتضى ما يلزم من سماع القرآن

وهو "التدبر والتأمل" وشهود المعنى، وظل هذا الشهود حتى انقضى رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ "فلما قضي" فروا إلى قومهم فرحين بهذا النور الذي ملأقلوبهم بالحق والهداية يحملون البشارة إليهم.

"ولوا" هنا تفيد السرعة، ولم يقل" رجعوا" أو "عادوا" . وقال "مُـنذرين" ولم يقل "مبشرين" لأن التبليغ الأول للكف فيكون بإنذار؛ فقال انذر ولم يقل بشر لأن البشارة للعمل الصالح وهم لم يكن لهم عمل صالح. كما أنهم كانوا في غفلة ولن يخرجهم من شدة تلك الغفلة إل شدة الإنذار.. وقد كان الجن على شيء من الحكمة في تبليغ قومهم "قالوا يا قومنما انا سمعنا.. يهدي ... مصدقا.." أي للكتب السماوية التوراة والإنجيل .

وقد عرف الجن أن القرآن يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم لما عرفوا أن التوراة تهدي إلى الحق وكذلك الإنجيل..
"يغفر لكم..." هذه هي البشارة ، وقد جاءت البشارة مرتين، الأولى "يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ "، والثانية "يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ"

فالإجابة منحصرة في الاتباع للرسول والإيمان به.

استجيبوا لله وللرسول

جاء جبريل إلى النبي _صلى الله عليه وسلم_ فسأله: قال: يا محمد ، أخبرني عن الإسلام ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا). قال : صدقتَ ، قال : فعجبنا له يسأله ويصدقه . قال : فأخبرني عن الإيمان ؟ قال : (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره) . قال : صدقت . قال فأخبرني عن الإحسان ؟ قال : (أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك). قال : فأخبرني عن الساعة ؟ قال : (ما المسئول عنها بأعلم من السائل). قال : فأخبرني عن أمارتها ؟ قال : (أن تلد الأمة ربَّتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاءَ الشاء يتطاولون في البنيان). قال : ثم انطلق ، فلبثتُ مليًّا ، ثم قال لي : (يا عمر ، أتدري من السائل ؟) . قلت : الله ورسوله أعلم . قال : (فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينك).

السؤال الأول عن "الإسلام" اشتمل على الإيمان في الشهادة إجمالًا، وتفصيلًا في إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة..

السؤال الثاني عن "الإيمان" اشتمل على أركان الإيمان القلبي الذي أولى سماته الإيمان _القائم على البراهين_ بما غاب عن الحواس المادية كالإيمان بالله واليوم الآخر..

السؤال الثالث عن "الإحسان" يُبين ذروة سنام الدين وهو "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك" هذه هي حقيقة العبودية لله عزوجل التي تقوم بنيانها على اليقين والاطمئنان..

هل يكفي مجمل الإيمان، أم لا بد من الإقرار بالربوبية والقيام بالعمل الصالح؟

يقول الله عز وجل: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ"

قوله "استجيبوا لله" أمر يفيد الوجوب، وهو لله في الفرائض. وقوله "للرسول" مشترك في الوجوب مع التوجيه الأول، وهو للنبي _صلى الله عليه وسلم_ في تبليغه للقرآن واتباع سنته وطريقته في السير على هذا القرآن.. وبذلك تحصل رتبة الإسلام الكاملة.

أراد الله عز وجل أن تحصل رتبة الإسلام الكاملة بالإيمان؛ فـتوسع في لفظة "الإجابة" وجعلها "الإستجابة" لتدل الحروف الزائدة على المعاني المطلوبة، فلما زيدت الكلمة بنية زادت معنى.. فالإجابة بالقلب، والإستجابة بالعمل.

ومن أدق معاني القرآن الكريم "وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ".

فماذا نفعل لو اسود القلب وران عليه؟!
ماذا نفعل لو حال الله بين المرء وقلبه؟!

يجب أن يعلم المرء أن الحول في الآية ليس للتأبيد وإنما هو متعلق باستمرار العبد في الإنحراف.. فإذا تاب العبد وأناب ونشطت إرادته للتوبة فالله عز وجل يرفع عنه هذا الحول ويوفقه للهداية، يقول النبي _صلى الله عليه وسلم " :_لَلّهُ أشدُّ فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلَته بأرضٍ فَلَاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيسَ منها، فأتى شجرةً فاضطجَعَ في ظلِّها قد أيس من

راحِلَته، فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمةً عنده، فأخذ بخِطامها، ثمَّ قال مِن شدَّة الفرح: اللهمَّ أنت عبدي وأنا ربُّك، أخطأ من شِدَّة الفَرح"

فالله عز وجل لم يقبل توبة العبد فقط؛ وإنما "فرح" بإقباله عليه.. فانظر إلى استقبال من أسأت في حقه عندما تذهب إليه لتعتذر منه وبين استقبال الله للعبد التائب!

إنه كما قال ابن القيم: "السر الأعظم الذي لا تقتحمه العِبارةُ، ولا تجسر عليه الإشارة، ولا ينادي عليه منادي الإيمان على رؤوس الأشهاد؛ بل شهدَتْه قلوبُ خواص العباد، فازدادَتْ به معرفةً لربِّها ومَحبَّة له وطُمأنينة به وشوقًا إليه ولهجًا بذكره، وشهودًا لبِرِّه ولطفه، وكرمِه وإحسانه، ومطالعة لسرِّ العبودية، وإشرافًا على حقيقة الإلهية"

الإستقامة

بعد الاستجابة لله وللرسول يوجد مستويان، الأول نصل فيه إلى الإستقامة، والثاني نصل فيه إلى الإحسان.

الإستقامة يُشار إليها صراحة في قول الله عز وجل: "إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا

وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ، نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ"

فـ"قالوا ربنا الله" هي مرحة الإجابة القلبية الأولى.

و"ثم" تفيد التراخي، وهذه مرحلة الإستجابة الثانية بالأعمال.

ثم تأتي المرحلة الثالثة وهي قوله "استقاموا."

والعلة من "ثم" تهيئ النفوس في التنفيذ والعمل دون تأخر؛ فيُعد النفوس أولًا ثم يُطالبها بالعمل، وهذا التدرج أمرُ عظيم؛ حيثُ أنه ما من عمل إلا وأسرع إليه الصحابة.. فلولا أن نفوسهم مُهيئة لما أسرعوا، ومثال ذلك إراقتهم الخمر في شوارع المدينة فور الأمر بحرمته. فالنبي صلى الله عليه وسلم ربى في الصحابة سماع الأمر بسرعة حتى أن أحد الصحابة كان يصلي مرة (صلاة نفل) فنادى النبي صلى الله عليه وسلم عليه فلم يجبه، فلما انتهى عاتبه النبي، فقال الرجل كنت في الصلاة، فقال له النبي ألم يقل الله " استجيبوا لله وللرسول"؟

ولذلك فالتربية النفسية والخُـلقية والروحية مهمة جدًا وهي أساس العمل؛ بل هي التي تدعو المرء للعمل. ولذلك كان التعبير بـ"ثم" يفيد هذا.

ولكي يكون السير على طريق الإستقامة صحيحًا لا بد من اتباع الشرع "فاستقم كما أمرت". فالأمر في الآية للرسول _صلى الله عليه وسلم_ لأنه معصوم والله يعلم أنه سيطيقه، أما بالنسبة لنا فنفس الأمر موجه إلينا لكن من عظيم رحمة الله أن فتح لنا باب للتوبة لعلمه بضعفنا فقال النبي: "كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون." فإذا وقع منا انحراف فباب التوبة مفتوح "فاستقيموا إليه واستغفروه."

أليس هو القائل " :يا عبادي إنَّكم تُخطئون بالليل والنَّهار وأنا أغفِر الذنوب جميعًا، فاستغفروني أغفِرْ لكم، يا عبادي إنَّكم لن تَبلغوا ضَرِّي فتضرُّوني، ولن تبلغوا نَفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أنَّ أوَّلكم وآخركم وإنسَكم وجنَّكم كانوا على أتقى قلبِ رجلٍ واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئًا، يا عبادي لو أنَّ أوَّلَكم وآخرَكم وإنسَكم وجِنَّكم كانوا على أفجر قلب رجلٍ واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئًا، يا عبادي لو أنَّ أولكم وآخركم وإنسكم وجِنَّكم قاموا في صعيدٍ واحد فسألوني فأعطيتُ

كلَّ إنسان مسألتَه ما نقص ذلك ممَّا عندي إلَّا كما يَنقُص المِخْيَطُ إذا أُدخِل البَحر"

فمن تربوا نفسيًا واستقاموا" تتنزل عليهم الملائكة" في حياة العبد وليس عند مماته..

وللملائكة مع القلب حديثان؛ الأول سري يؤدي إلى السكينة والطمئنينة وزيادة اليقين. والثاني أعلى من الخواطر القلبية ويدركه الإنسان وكأنه يسمعه بأذنيه.. وقد أشار النبي _صلى الله عليه وسلم_ إلى هذا فقال: "ان من الناس مكلمين ومحدثين وإن منهم عمرا" ومعنى مكلمين أي مُـلهمين.

"ألا تخافوا" من المستقبل "ولا تحزنوا" مما مضى.

" وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون" نتيجة لإجابتكم لله واستجابتكم لأمره واستقامتكم على طريقه .

الإحسان

بعد أن علمنا أن الإجابة خاصة بالإيمان، وأن الإستجابة والإستقامة خاصتان بالعمل والخُـلق، يأتي دور الحديث عن الإحسان. لكن لماذا

قدمنا "الإجابة" المشتملة على الإيمان عل "الإستجابة" المشتملة على الإسلام، مع أن حديث النبي مع جبريل قدم الإسلام على الإيمان؟

لحقيقتان. أولًا: لأن الواقع الفعلي للدعوة قدم الإيمان على الإسلام.. والنبي أثناء دعوته لأهل مكة لم يأمرهم بالصلاة والزكاة لكنه دعاهم لتوحيد الله أولًا.

ثانيًا: حديث جبريل مع النبي في سؤاله: ما الإسلام؟ كان جواب النبي _صلى الله عليه وسلم_ له مشتملًا على التصديق وهو عين الإيمان في قوله جواب عن الإسلام"أن تشهد أن لا إله إلا الله."

هل هناك درجة أعلى وأقرب لله من الإسلام والإيمان؟

نعم، إنها درجة "الإحسان" الذي سُئل النبي عنه من قبل جبريل فأجاب عنه: "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك". فمن أجاب الله ورسوله واستجاب لهما وجب عليه أن يُعالج عمله وأمراضه النفسية كل حين.. ومن عالج نفسه وسلم من أمراضها استحق أن يقترب من ربه فيشعر وكأنه يراه، وهذا هو الإحسان.

والكاف في قوله "كأنك تراه" تفيد الرؤية القلبية لجلال الله، فإن لم تتحقق هذه الحالة فحقق الثانية" فإن لم تكن تراه فإنه يراك."

المصادر:

صحيح البخاري.
صحيح مسلم.
مدارج السالكين.

المحتويات

الموضوع **الصفحة**

نِعم الله على العباد ٤
أديان العالم الكبرى ٣٠
التصوف طريق المُحبين..... ٤٤
التعلق الروحي بالقدس الشريف ٥٠
الحُبُ أعظم موجود!..... ٥٥
الصفات الخبريَّـة .. هدم أم بناء؟..... ٦١
غفران الذنوب بين المسيحية والإسلام..... ٦٩
فلسفة الغناء ٧٣
كيف ساهمت والصلاة في عدم انتشار الأوبئة والأمراض؟..... ٨٣
كيف فنَّدَ التفتازاني الأفكار الواهية لمنكري البعث؟ ٨٧
معنى أن تُعلّم ولدك القرآن ٩٣
مصطلحات يجب أن تعرفها..... ١٠٣
مكانة السّـنة النبويّة..... ١١١
نظرات في شريعة الإسلام. ١٢٢
نظرة مختلفة إلى القرآن والحديث. ١٣٧
وهل الدين إلَّا الحُب؟..... ١٤٧
يا باغي الخير أقبل! ١٥٥